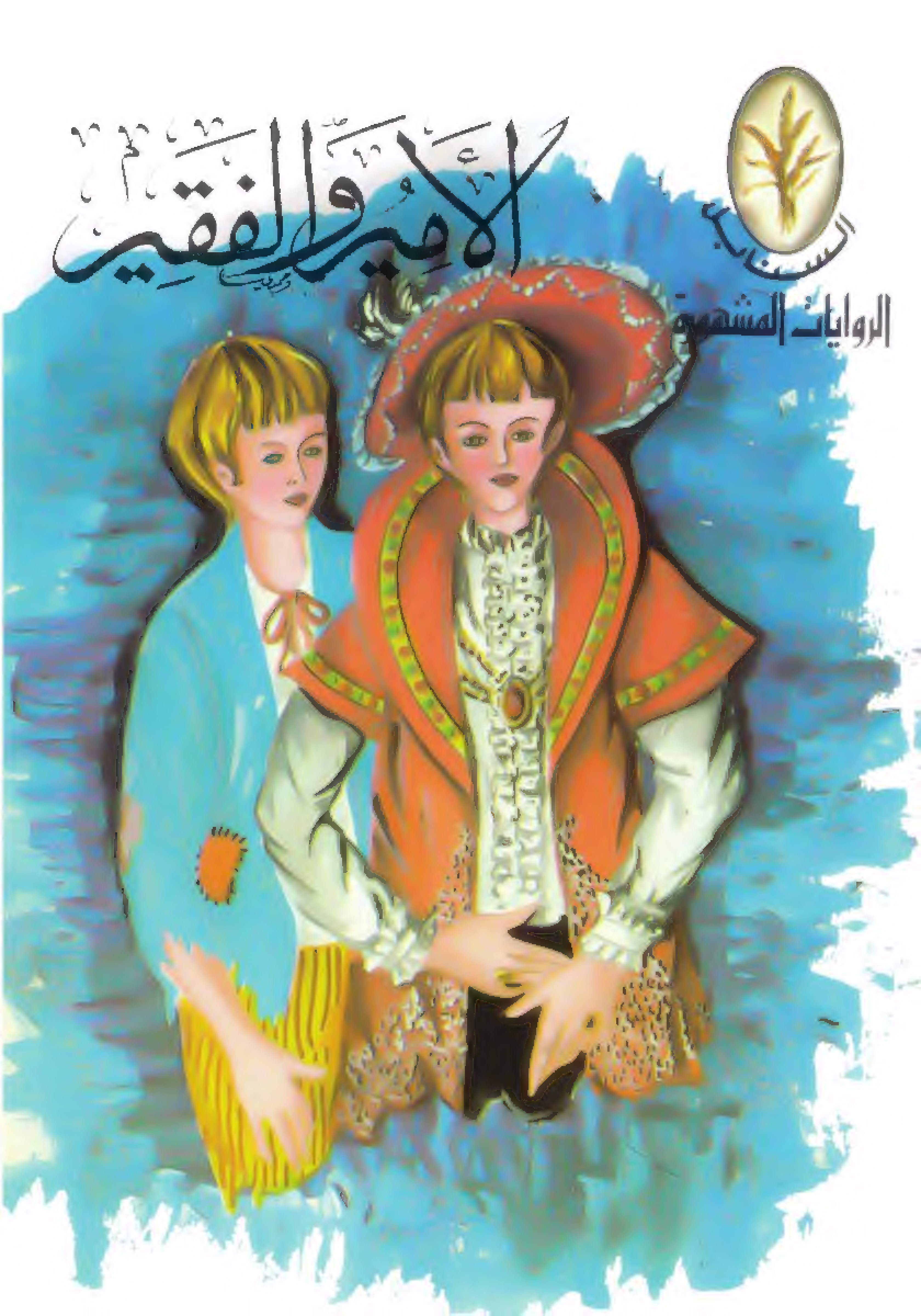
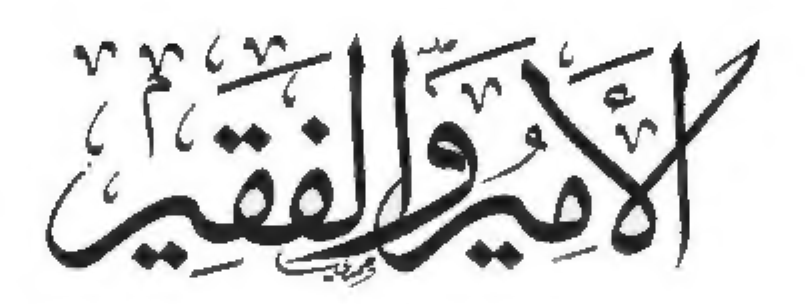

الأمير والفقير
الروايات المشهورة


الأمير والفقير





رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي – الجيزة ، مصر

الطبعة الأولى ١٩٩٠

رقم الإيداع : ٨٣٨٣ / ١٩٩٠

الترقيم الدولي : ٧ – ٠٠٠٨ – ١٦ – ISBN ٩٧٧

طبع بمطابع دار المعارف

الأمير والفقير

لبنان

الروايات المشهورة



تأليف : مارك توين

أعدها بالعربية : الدكتور اللواء سيد أبو مسلم

رسوم : كريمان إسماعيل جودت

مكتبة لبنان

بيروت

الفَصْلُ الأَوَّلُ

توم كانْتي

توم كانْتي طِفْلٌ فقيرٌ، نَشَأ في أُسْرَةٍ فَقيرَةٍ مُعْدِمَةٍ شَأْنَ العَديدِ مِنَ الأُسَرِ الَّتي كُتِبَ عَلَيْها أَنْ تُقيمَ في لنْدن سنة ١٥٤٧م. فَقَدْ كانَ مِنَ العَسيرِ -في تِلْكَ السَّنواتِ- عَلى رَبِّ الأُسْرَةِ أَنْ يَجِدَ أَيَّ فُرْصَةٍ لِلْعَمَلِ، وَمِنْ ثَمَّ كانَتْ هَذِهِ الأُسَرُ تَعْتَمِدُ في حَياتِها عَلى التَّسَوُّلِ. أمّا وَالِدُ توم كانْتي، فَأَمْرُهُ يَخْتَلِفُ عَنْ ذَلِكَ اختِلافًا بَيِّنًا، فَهُوَ -بِطَبيعَتِهِ- لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ العَمَلَ، وَلا يَميلُ إلى بَذْلِ الجَهْدِ، مَعَ أَنَّ بُؤْسَ حالِهِ أَلْجَأَهُ إلى أَنْ يُقيمَ هُوَ وزَوْجَتُهُ وَأُمُّهُ وَأَطْفالُهُ الثَّلاثَةُ (ابنتاه بِت وَنان، وابْنُهُ توم) في غُرْفَةٍ واحِدَةٍ، في مَنْزِلٍ قَديمٍ يَقَعُ في أَشَدِّ أَحْياءِ لنْدن فَقْرًا. وَلَمّا لَمْ يَجِدْ سَريرًا يُنيمُ أَطْفالَهُ عَلَيْهِ تَرَكَهُمْ يَفْتَرِشونَ الأَرْضَ.

لَمْ يُمارِسْ كانْتي أَيَّ عَمَلٍ طَوالَ حَياتِهِ مُكْتَفِيًا بِأَنْ يَدْفَعَ أَطْفالَهُ



الثَّلاثَةَ إلى شَوارِعِ لَنْدَن وَطُرُقاتِها يَسْتَجْدونَ المارَّةَ، وَكانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقِفوا عَلى جانِبِ الطَّريقِ يَسْتَدِرّونَ عَطْفَ المارَّةِ بِقَوْلِهِمْ: «أَعْطِ حَسَنَةً لِطِفْلٍ مِسْكينٍ.» وَإذا حَدَثَ أَنْ عادَ طِفْلٌ بِدونِ نُقودٍ فَإِنَّ جَزاءَهُ الضَّرْبُ وَالحِرْمانُ مِنَ الطَّعامِ.

لَقَدْ بَلَغَتْ حَياةُ هَؤلاءِ الأطْفالِ دَرَجَةً مِنَ البُؤْسِ لا يُمْكِنُ تَحَمُّلُها، وَغايَةً مِنَ التَّعاسَةِ لا يُمْكِنُ تَصَوُّرُها.

وَكانَ السَّيِّدُ أَنْدرو يَسْكُنُ في غُرْفَةٍ صَغيرَةٍ بِالجُزْءِ الخَلْفِيِّ مِنْ مَنْزِلِ أُسْرَةِ كانْتي، وَكانَ رَجُلًا واسِعَ الاِطِّلاعِ. وَكانَ توم يَذْهَبُ إلى بَيْتِهِ كُلَّ يَوْمٍ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِ لِيَسْتَمِعَ إلى ما يَرْويهِ لَهُ مِنْ أَقاصيصَ عَنِ المُلوكِ وَالأُمَراءِ.

قالَ توم للسَّيِّدِ أَنْدرو ذاتَ يَوْمٍ: «أُريدُ أَنْ أَكونَ كَالأُمَراءِ يَوْمًا مِنَ الأَيّامِ: أُجيدُ الكَلامَ كَما يُجيدونَ، وَأَتَصَرَّفُ كَما يَتَصَرَّفونَ، وَأُريدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ اللاتينِيَّةَ لأَنَّ الأُمَراءَ يَتَعَلَّمونَها.» لِذَلِكَ قامَ السَّيِّدُ أَنْدرو بِتَعْليمِهِ أُصولَ الحَديثِ وَآدابَهُ، وَكَيْفِيَّةَ التَّصَرُّفِ كَما يَتَصَرَّفُ الأُمَراءُ، بَلْ وَعَلَّمَهُ اللاتينِيَّةَ أَيْضًا.

وَعِنْدَما كانَ توم يَلْعَبُ مَعَ أَقْرانِهِ كانَ يَخْتارُ لِنَفْسِهِ دَوْرَ الأَميرِ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ إتْقانِهِ الدَّوْرَ دَرَجَةً جَعَلَتِ الأَطْفالَ يَسْخَرونَ مِنْهُ أَحْيانًا،

وَيُنادونَهُ بِالأميرِ توم؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كانوا يُحِبّونَهُ. وَكانوا كَثيرًا ما يَذْهَبونَ إلى النَّهْرِ لِلَّعِبِ عَلى ضِفَّتِهِ، وَالسِّباحَةِ في مائِهِ، وَكانَ توم يُجيدُ السِّباحَةَ.

وَكانَ مَلِكُ إنْجِلترا آنَذاكَ هُوَ المَلِكُ هَنْري الثّامِنُ، وَكانَ لَهُ ابْنٌ وَحيدٌ هُوَ الأميرُ إدْوارد الَّذي كانَ مَعْروفًا أَنَّهُ سَيَخْلُفُ والِدَهُ عَلى العَرْشِ بَعْدَ وَفاتِهِ. وَكانَ المَلِكُ هَنْري الثّامِنُ يَعيشُ في قَصْرِ وِسْتْمِنِسْتَر بِلَنْدن.

قالَ السَّيِّدُ أَنْدرو مُخاطِبًا توم ذاتَ يَوْمٍ: «أَرَى أَنْ تَذْهَبَ إلى قَصْرِ وِسْتمِنِسْتَر حَتّى يُتاحَ لَكَ أَنْ تَرى أميرًا حَقيقِيًّا، وَهُوَ الأميرُ إدْوارد ابْنُ المَلِكِ، فَهُوَ يَعيشُ هُناكَ، وَقَدْ يَبْتَسِمُ لَكَ الحَظُّ يَوْمًا فَتَراهُ.

الفَصْلُ الثّاني

تَبادُلُ الأَوْضاع

ذاتَ يَوْم تَوَجَّهَ توم إلى بَوّابَةِ القَصْرِ، وكانَ يَقِفُ على جانِبَيْها حارِسانِ. وكانا يُشَكِّلانِ عائِقًا لَهُ في الِاقتِرابِ مِنَ البَوّابَةِ، فَتَوَقَّفَ عِنْدَها وَأَخَذَ يَنْظُرُ مِنْ خِلالِها فَوَجَدَ أناسًا كَثيرينَ مِنَ النُّبَلاءِ وَزَوْجاتِهِمْ يَسيرونَ في كُلِّ اتِّجاهٍ داخِلَ القَصْرِ، إلا أَنَّهُ لَمْ يَرَ بَيْنَهُمُ الأميرَ. وَأَخَذَ تومُ يَتَرَدَّدُ على البَوّابَةِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْم. وَذاتَ يَوْم رَأى غُلامًا يَخْرُجُ مِنْ بابِ القَصْرِ، وَما إن اقتَرَبَ الغُلامُ مِنَ البَوّابَةِ حَتّى جَرى تومُ نَحْوَها لِيَتَمَكَّنَ مِنْ رُؤْيَتِهِ عَنْ كَثَبٍ، وَصاحَ: «أريدُ أَنْ أَرى الأَميرَ.»

وَلَكِنْ سَرْعانَ ما اتَّجَهَ أَحَدُ الجُنودِ إِلَيْهِ وَضَرَبَهُ وَصاحَ بِهِ: «اِبْتَعِدْ!»

شاهَدَ الأَميرُ الصَّغيرُ ما حَدَثَ، فَغَضِبَ غَضَبًا شَديدًا، وَسَأَلَ

الجُنْدِيَّ: «لِمَ تَضْرِبُ هَذا الغُلامَ المِسْكينَ؟ اِفْتَح البَوّابَةَ وَاسْمَحْ لَهُ بِالدُّخولِ.»

أجابَهُ الجُنْدِيُّ: «إنَّ هَذا الغُلامَ لَيْسَ سِوى مُتَسَوِّلٍ فَقيرٍ.»

قالَ لَهُ الأميرُ إدْوارد: «إنَّ والِدي، المَلِكَ، هُوَ مَلِكٌ لِكُلِّ النّاسِ، غَنِيِّهِمْ وَفَقيرِهِمْ. أحْضِرْ إلَيَّ هَذا الغُلامَ.»

فَتَحَ الجُنْدِيُّ البَوّابَةَ، وَأدْخَلَ توم إلى الأميرِ الَّذي بادَرَهُ قائِلًا: «تَعالَ مَعي. أخْبِرْني مَنْ أنْتَ؟ وَلِمَ تَتوقُ بِشِدَّةٍ لِرُؤْيَتي؟ لَقَدْ كُنْتُ أراكَ مِنْ نافِذَتي وَأنْتَ تَأتي إلى هَذِهِ البَوّابَةِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ.»

وَاصطَحَبَ الأميرُ توم إلى غُرْفَةٍ داخِلَ القَصْرِ، وَنادى أحَدَ الخَدَمِ وَأمَرَهُ بِأنْ يُحْضِرَ الطَّعامَ. فَأحْضَرَ الخادِمُ الطَّعامَ وَوَضَعَهُ عَلَى المائِدَةِ. وَلَمْ يَكُنْ تومُ قَدْ أكَلَ –مِنْ قَبْلُ– طَعامًا في لَذَّةِ ذَلِكَ الطَّعامِ.

قالَ الأميرُ لِتوم: «وَالآنَ حَدِّثْني عَنْ نَفْسِكَ، ما اسْمُكَ؟ وَأيْنَ تَعيشُ؟»

أجابَهُ توم: «اِسْمي توم، وَأعيشُ مَعَ والِدي وَوالِدَتي وَجَدَّتي وَشَقيقَتَيَّ، في غُرْفَةٍ صَغيرَةٍ بِعَطْفَةٍ بودنج.»



قالَ الأميرُ مُتَعَجِّبًا: «في غُرْفَةٍ واحِدَةٍ؟ أَتُقيمونَ جَميعًا في غُرْفَةٍ واحِدَةٍ؟»

قالَ توم: «أَجَلْ!»

قالَ الأميرُ: «إنَّ بِهَذا القَصْرِ مِئاتِ الغُرَفِ، فَلِماذا تُقيمونَ جَميعًا في غُرْفَةٍ واحِدَةٍ؟»

قالَ توم: «إنَّنا فُقَراءُ جِدًّا. وَلِهَذا يُرْسِلُني والِدي كُلَّ يَوْم لِأَسْتَجْدِيَ النّاسَ شَيْئًا مِنَ المالِ، وَلَوْ عُدْتُ لَهُ دونَ أَنْ يَكونَ مَعي ما يَكْفيهِ مِنْ نُقودٍ فَإِنَّ جَزائي الضَّرْبَ وَالحِرْمانَ مِنَ الطَّعام.»

صاحَ الأميرُ مُتعجِّبًا: «أ يَضْرِبُكَ والِدُكَ؟ سَوْفَ أرْسِلُ جُنودي لِيَضْرِبوهُ!»

قالَ توم: «لا، لا تَفْعَلْ ذَلِكَ، فَسَوْفَ تَحْزَنُ والِدَتي وَشَقيقَتايَ مِنْ أجْلِهِ.»

قالَ الأميرُ: «إنَّ لي ثَلاثَ شَقيقاتٍ: الأميرَةَ إليزابيث، وَالأميرَةَ جين، وَالأميرَةَ ماري. أمَّا الأميرةُ إليزابيث فَهِيَ حَكيمَةٌ لِلْغايَةِ، وَالأميرَةُ جين رَقيقَةُ القَلْبِ، مُغْرَمَةٌ بِالقِراءَةِ، وَلَكِنَّني لا أُحِبُّ الأميرَةَ ماري، فَهِيَ لا تَضْحَكُ أبَدًا، وَلا تُشارِكُني اللَّعِبَ.» ثُمَّ سألَ توم قائِلًا: «هَلْ تَلْعَبُ مَعَ غَيْرِكَ مِنَ الأوْلادِ؟»

أجابَ توم: «أجَلْ، بِطَبيعَةِ الحالِ.»

قالَ الأميرُ الصَّغيرُ: «أمّا أنا فَلا ألْعَبُ مَعَ أحَدٍ.» ثُمَّ سَألَهُ: «وَماذا تَلْعَبُ؟»

أجاب توم: «ألْعَبُ بِالكُرَةِ، وَألْعَبُ بِجانِبِ النَّهْرِ، وَأسْبَحُ فيهِ، وَفي بَعْضِ الأحْيانِ أُمَثِّلُ دَوْرَ الأميرِ مَعَ أصْدِقائي.»

قالَ الأميرُ: «بِوُدّي أنْ أقومَ بِدَوْرِ وَلَدٍ فَقيرٍ، وَألْعَبَ مِثْلَكَ بِجِوارِ النَّهْرِ، وَأتَمَتَّعَ بِالسِّباحَةِ فيهِ، فَهَيّا نَتَبادَلْ ثِيابَنا، وَسَوْفَ تَكونُ أنْتَ

الأميرَ وَأنا الوَلَدَ الفَقيرَ، وَذَلِكَ لِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ فَقَطْ.»

وَبَدَأَ الأميرُ يَخْلَعُ مَلابِسَهُ الأنيقَةَ، وَخَلَعَ توم مَلابِسَهُ القَديمَةَ، وَارتَدَى مَلابِسَ الأميرِ. وَوَقَفَ توم يَنْظُرُ إلى الأميرِ بَعْدَ أنْ لَبِسَ مَلابِسَهُ القَديمَةَ، فَوَجَدَهُ يُشْبِهُهُ شَبَهًا بالِغًا حَتى إنَّهُ سَأَلَ نَفْسَهُ قائِلًا: «أيْنَ رَأَيْتُ هَذا الشَّخْصَ مِنْ قَبْلُ؟ لَقَدْ كانَ الأميرُ يُشْبِهُ...»

صاحَ الأميرُ مُخاطِبًا توم: «تَعالَ وَانظُرْ إلى صورَتَيْنا في المِرْآةِ لِتَرى كَيْفَ نَبْدو!»

كانَ كُلٌّ مِنْهُما يُشْبِهُ الآخَرَ شَبَهًا كَبيرًا، فَقَدْ أصْبَحَ الأميرُ لا يَكادُ يَفْتَرِقُ عَنْ توم في شَيْءٍ بَعْدَ أنِ ارتَدى مَلابِسَ الوَلَدِ المُتَسَوِّلِ الَّتي كانَ يَرْتَديها توم، كَما صارَ توم وَثيقَ الشَّبَهِ بِالأميرِ.

قالَ الأميرُ: «اِنتَظِرْ هُنا حَتَّى أعودَ إلَيْكَ.» ثُمَّ أخَذَ شَيْئًا ثَقيلًا مُسْتَديرًا وَصَغيرًا مِنْ فَوْقِ المائِدَةِ وَوَضَعَهُ في مَكانٍ آمِنٍ، وَانطَلَقَ خارِجًا مِنْ بابِ الغُرْفَةِ، تارِكًا توم وَحْدَهُ فيها.



الفَصْلُ الثّالِثُ

الأميرُ يَعودُ إلى مَنْزِلِ توم كانْتي

اِتَّجَهَ الأميرُ الحَقيقيُّ إلى بَوّابَةِ القَصْرِ، وَصاحَ في الجُنودِ قائِلًا: «اِفْتَحوا البَوّابَةَ أيُّها الرِّجالُ.»

فَتَحَ الجُنودُ البَوّابَةَ، وَبَيْنَما كانَ الأميرُ إدْوارد يَخْرُجُ مِنْها ضَرَبَهُ أحَدُ الجُنودِ عَلَى رَأسِهِ قائِلًا: «لَيْسَتْ هَذِهِ طَريقَةً لائِقَةً تُخاطِبُ بِها جُنودَ المَلِكِ.» فَضَحِكَ الواقِفونَ خارِجَ بَوّابَةِ القَصْرِ عِنْدَما سَقَطَ إدْوارد عَلى الأرْضِ. وَلَكِنَّهُ نَهَضَ وَنَظَرَ إلَى الجُنْدِيِّ وَقالَ لَهُ: «إنَّني أنا الأميرُ، وَلَسَوْفَ تُقْتَلُ عَلى فَعْلَتِكَ هَذِهِ.» ثُمَّ خاطَبَ الواقِفينَ عِنْدَ البَوّابَةِ قائِلًا: «وَأنْتُمْ أيُّها الأغْبِياءُ تَضْحَكونَ عَلَيَّ!»

وَضَجَّ الواقِفونَ عِنْدَ البَوّابَةِ بِالضَّحِكِ، ثُمَّ قالَ أحَدُهُمْ: «اِنحَنوا لِلْأميرِ! اِرفَعوا قُبَّعاتِكُمْ تَحِيَّةً لَهُ! أفْسِحوا الطَّريقَ لِلأميرِ!» ثُمَّ أغْرَقوا جَميعًا في ضَحِكٍ مُتَّصِلٍ بَيْنَما كانَ إدْوارد يَمُرُّ بَيْنَهُمْ.

قالَ أَحَدُ الجُنودِ: «إِنَّهُ مَجنونٌ!»

قالَ آخَرُ: «إِنَّهُ لَمَجْنونٌ حَقًّا!»

وَسارَ إِدْوارد في الشّارِعِ، وَلَمْ يَتَتَبَّعْهُ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ؛ إِذْ كانوا يَخافونَ المَجانينَ، وَظَنّوا أَنَّ الوَلَدَ قَدْ يَكونُ خَطِرًا.

وَسارَ إِدْوارد في الطَّريقِ، وَهُوَ لا يَعْرِفُ وِجْهَتَهُ، وَلا يُدْرِكُ غايَتَهُ؛ فَلَمْ يَكُنْ مُعْتادًا الخُروجَ إِلى شَوارِعِ لَنْدن، وَلا التَّجَوُّلَ في طُرُقاتِها. وَكانَ يَسيرُ حافِيَ القَدَمَيْنِ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَدى توم حِذاءٌ يَلْبَسُهُ، إِلا أَنَّ قَدَمَيْهِ كانَتا خَشِنَتَيْنِ. أَمّا قَدَما الأَميرِ إِدْوارد فَقَدْ كانَتا مِنَ الرِّقَّةِ وَالنُّعومَةِ بِحَيْثُ أَدْماهُما الحَصى المُنْتَشِرُ في الطَّريقِ. وَسَرْعانَ ما نالَ مِنْهُ التَّعَبُ مَنالًا، وَبَلَغَ مِنْهُ الجوعُ مَبْلَغًا، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ قائِلًا: «أَيْنَ أَسْتَطيعُ أَنْ أَجِدَ مَكانًا أَلْتَمِسُ فيهِ بَعْضَ الطَّعامِ وَالرّاحَةِ؟ أَيْنَ أَجِدُ مَنْ يَقودُني إِلى القَصْرِ؟»

كانَ رَجُلٌ مِنْ عِلْيَةِ القَوْمِ يَمُرُّ أَمامَ إِدْوارد مُمْتَطِيًا جَوادًا، فَناداهُ إِدْوارد قائِلًا: «يا سَيِّدي أَنا الأَميرُ، أَرْجوكَ أَنْ تَعودَ بي إِلى القَصْرِ.» وَلَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْمَعْ ما قالَهُ إِدْوارد، وَظَنَّهُ مُتَسَوِّلًا يَسْتَجْدي بَعْضَ النُّقودِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَسارَ في طَريقِهِ.



وَصَلَ إدْوارد أخيرًا إلَى مَبْنًى ضَخْم كانَ يَعْرِفُهُ جَيِّدًا، فَصاحَ قائِلًا: «هَذا هُوَ مَبْنى المُسْتَشْفى. لَقَدْ خَصَّصَ والِدي المَلِكُ هَذا المَبْنى لِيَكونَ مَدْرَسَةً لِلصِّبْيَةِ الفُقَراءِ، وَيُمْكِنُني أَنْ أَحْصُلَ مِنْهُ عَلى ما أَحْتاجُ إلَيْهِ مِنْ عَوْنٍ.»

وَشاهَدَ إدْوارد عَدَدًا كَبيرًا مِنَ الأَوْلادِ يَلْعَبونَ أَمامَ المَبْنى، فَنادى أَحَدَهُمْ وَقالَ لَهُ: «اِذْهَبْ يا غُلامُ إلى مُدَرِّسِكَ وَقُلْ لَهُ أَنْ يَأْتِيَ إلى هُنا. قُلْ لَهُ إنَّ الأَميرَ إدْوارد يَأْمُرُهُ بِأَنْ يَأْتِيَ إلى هُنا.» فَضَحِكَ الغُلامُ.

قالَ لَهُ إدْوارد: «اِفْعَلْ ما قُلْتُ لَكَ.» ثُمَّ ضَرَبَهُ.

وَنادى الغُلامُ رِفاقَهُ مِنَ الصِّبْيَةِ وَقالَ لَهُمْ: «إنَّ هَذا غُلامٌ مَجْنونٌ، وَيَبْدو أَنَّ حَرارَتَهُ مُرْتَفِعَةٌ بِسَبَبِ جُنونِهِ. هَيّا نُلْقِ بِهِ في الماءِ.»

وَتَقَدَّمَ ثَلاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ مِنَ الصِّبْيَةِ وَأَمْسَكوا بِإدْوارد، وَأَلْقَوْا بِهِ في حُفْرَةٍ بِها بَعْضُ الماءِ القَذِرِ، وَراحوا يَضْحَكونَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَخْرُجُ مِنَ الجانِبِ الآخَرِ مِنَ الحُفْرَةِ.

أَوْشَكَ اللَّيْلُ أَنْ يُسْدِلَ أَسْتارَهُ، فَقالَ إدْوارد مُحَدِّثًا نَفْسَهُ:



«لَقَدْ تَأَخَّرَ بِيَ الوَقْتُ، وَعَلَيَّ أَنْ أَجِدَ مَكانًا أَمْضي فيهِ لَيْلَتي، ثُمَّ أَعودُ إلى القَصْرِ صَباحَ الغَدِ. عَلَيَّ أَنْ أَتَّجِهَ إِلَى مَنْزِلِ توم بِعَطْفَةِ بودنج وَأَقْضي لَيْلَتي هُناكَ.»

وَواصَلَ إدْوارد سَيْرَهُ، وَكانَتِ السَّماءُ قَدَ اصطَبَغَتْ بِحُمْرَةِ الشَّفَقِ، وَبَدَأَتِ الأَضْواءُ تَظْهَرُ في نَوافِذِ المَنازِلِ، وَعِنْدَئِذٍ شَعَرَ إِدْوارد بِيَدٍ ثَقيلَةٍ تَمْتَدُّ في وَسَطِ الظَّلام وَتُمْسِكُ بِهِ مِنْ ذِراعِهِ، وَسَمِعَ مَنْ يَسْأَلُهُ قائِلًا: «ماذا تَفْعَلُ خارِجَ البَيْتِ في مِثْلِ هَذِهِ السّاعَةِ المُتَأَخِّرَةِ مِنَ اللَّيْلِ؟ أَلا تَسْتَطيعُ أَنْ تُجيبَ والِدَكَ يا توم كانْتي؟ ماذا

أَحْضَرْتَ لي مِنَ النُّقودِ؟»

صاحَ إِدْوارد قائِلًا: «آهِ، هَلْ أَنْتَ والِدُهُ؟»

قالَ: «والِدُهُ؟! إِنَّني والِدُكَ أَنْتَ.»

صاحَ إِدْوارد: «لا، لا! إِنَّني لَسْتُ توم! إِنَّني الأَميرُ! إِنَّ ابنَكَ الآنَ في قَصْرِ وِسْتمِنسْتَر. خُذْني إلى القَصْرِ وَعُدْ بِابْنِكَ إلى بَيْتِكَ.»

نَظَرَ جون كانْتي إلى الصَّبِيِّ، وَقالَ لَهُ: «إِنَّكَ لَمَجْنونٌ! مَجْنونٌ حَقًّا!» ثُمَّ أَمْسَكَ بِذِراعِ الأَميرِ وَجَذَبَهُ مَعَهُ، وَمَضى في طَريقِهِ. وَكانَ جون كانْتي رَجُلًا قَوِيَّ البِنْيَةِ.

قالَ لِإِدْوارد: «سَواءٌ أَكُنْتَ مُخْتَلَّ العَقْلِ أَمْ لا، فَإِنَّ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعي إلى البَيْتِ. أَمّا في الغَدِ فَسَوْفَ تَخْرُجُ إلى الشّارِعِ وَتَبْقى بِهِ طَوالَ اليَوْمِ، وَسَتَعودُ إِلَيَّ بِالنُّقودِ الَّتي كانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ بِها اليَوْمَ.»

الفَصْلُ الرّابِعُ
توم في القَصْرِ

ظَلَّ تومُ وَحيدًا في غُرْفَةِ الأميرِ بِقَصْرِ وِسْتمِنِسْتَر، وَوَقَفَ يَتَطَلَّعُ إلى صورَتِهِ في المِرْآةِ الكَبيرَةِ المُعَلَّقَةِ عَلى حائِطِ الغُرْفَةِ، فَراقَتْهُ صورَتُهُ في مَلابِسِهِ الجَميلَةِ، وَراحَ يَخْطِرُ في الغُرْفَةِ جيئَةً وَذَهابًا، وَهُوَ لا يَزالُ يُفَكِّرُ في هَذِهِ الصّورَةِ الجَميلَةِ الَّتي طالَعَتْهُ بِها المِرْآةُ. وَوَضَعَ يَدَهُ عَلى مِقْبَضِ السَّيْفِ المُعَلَّقِ في جانِبِهِ، وَاسْتَلَّهُ وَأَخَذَ يَلْهو بِهِ، وَكَأَنَّهُ يُبارِزُ شَخْصًا ما. ثُمَّ جَلَسَ بَعْدها يُفَكِّرُ وَيَقولُ: «يا لَها مِنْ قِصَّةٍ عَجيبَةٍ! سَوْفَ أَقُصُّها عَلى شَقيقَتَيَّ عِنْدَما أعودُ إلى البَيْتِ.»

وَسَمِعَ توم صَوْتَ رَنينِ جَرَسٍ. لَقَدِ انقَضَتْ ساعَةٌ كامِلَةٌ، وَلَمْ يَعُدِ الأميرُ بَعْدُ؛ فَتَساءَلَ: «تُرى مَتى سَيَعودُ؟»

وَبَدَأَ توم يَتَجَوَّلُ في الغُرْفَةِ، وَيَتَطَلَّعُ إلى ما بِها مِنْ أَشْياءَ جَميلَةٍ، كَالمَقاعِدِ وَالمَناضِدِ الرّائِعَةِ الدَّقيقَةِ الصُّنْعِ، كَما أَخَذَ يَنْظُرُ إلى الصُّوَرِ

المُعَلَّقَةِ عَلى الجُدْرانِ. وَكانَتْ صُوَرًا لِمُلوكٍ وَمَلِكاتٍ، وَأُمَراءَ وَأميراتٍ، يَرْتَدونَ المَلابِسَ الجَميلَةَ الفاخِرَةَ، وَيَتَحَلَّوْنَ بِالجَواهِرِ الثَّمينَةِ، وَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُمْ يُبادِلونَهُ النَّظَراتِ، لَكِنْ في جِدٍّ وَصَرامَةٍ.

وَكانَ بِالقُرْبِ مِنَ البابِ عُدَّةُ حَرْبٍ مِمّا يَتَّخِذُهُ الفُرْسانُ، فَوَقَفَ يَتَأَمَّلُها، ثُمَّ تَناوَلَ قِطْعَةً مِنْها تَقي الذِّراعَ وَلَبِسَها. وَكانَتْ عُدَّةَ حَرْبٍ صَغيرَةً تُلائِمُهُ. ثُمَّ أَخَذَ قِطْعَةً أُخْرى مِنْ عُدَّةِ الحَرْبِ فَسَقَطَ مِنْها شَيْءٌ مُسْتَديرٌ، لَمْ يَتَبَيَّنْهُ فَلَمْ يَكْتَرِثْ لَهُ، وَطَفِقَ يَلْبَسُ قِطَعَ الدِّرْعِ واحِدَةً بَعْدَ أُخْرى، ثُمَّ تَطَلَّعَ إِلى صورَتِهِ في المِرْآةِ، فَأَبْصَرَ ذَلِكَ الشَّيْءَ الثَّقيلَ المُسْتَديرَ الَّذي سَقَطَ، فَأَعادَهُ إِلى مَكانِهِ في القِطْعَةِ الَّتي تَقي الذِّراعَ، دونَ أَنْ يَدْرِيَ لَهُ كُنْهًا أَوْ وَظيفَةً.

وَانْقَضَتْ ساعَةٌ أُخْرى، وَبَدَأَ الخَوْفُ يَتَسَلَّلُ إِلى قَلْبِ توم، فَقَدْ يَدْخُلُ أَحَدٌ عَلَيْهِ الغُرْفَةَ وَيَسْأَلُهُ: «مَنْ أَنْتَ؟ وَماذا تَفْعَلُ هُنا؟» وَلَنْ يَكونَ الأَميرُ عِنْدَئِذٍ مَوْجودًا لِيُخْبِرَهُمْ بِالحَقيقَةِ، كَما أَنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَدِّقَهُ فيما يَقولُ.

وَاسْتَغْرَقَ الغُلامُ في تَفْكيرِهِ وَقالَ لِنَفْسِهِ: «رُبَّما لا يَكونُ هُناكَ أَحَدٌ في الغُرْفَةِ المُجاوِرَةِ، فَلَوْ أَسْرَعْتُ بِالخُروجِ، وَلَمْ تَقَعْ أَنْظارُ النّاسِ عَلى وَجْهي، فَقَدْ أَصِلُ إِلى البَوّابَةِ، وَيَسْمَحُ لي الحُرّاسُ

بِالخُروجِ.» وَمِنْ ثَمَّ فَتَحَ بابَ الغُرْفَةِ، فَوَجَدَ أَرْبَعَةَ رِجالٍ يَقِفونَ خارِجَها اِثْنَيْنِ عَلى كُلِّ جانِبٍ مِنْ جانِبَيِ البابِ، وَانْحَنَوْا تَحِيَّةً لَهُ فَوْرَ رُؤْيَتِهِ، فَصاحَ توم مُصْدِرًا صَوْتًا غَيْرَ مَفْهوم، وَعادَ مُسْرِعًا إلى الغُرْفَةِ، وَأَغْلَقَ البابَ خَلْفَهُ.

وَتَبادَلَ الرِّجالُ النَّظَراتِ، وَقالَ أَحَدُهُمْ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ الأَميرَ مَريضٌ.»

قالَ آخَرُ: «أَجَلْ، لَعَلَّهُ كَما تَقولُ.»

قالَ الثّالِثُ: «عَلَيْنا أَنْ نَطْلُبَ مِنْ إحْدى شَقيقاتِهِ أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ بِالحُجْرَةِ لِتَرى ماذا بِهِ.»

قالَ الرّابِعُ: «فَلْتَكُنِ الأميرةُ جين. إنِّي ذاهِبٌ لأُنادِيَها.»

وَفُتِحَ بابُ غُرْفَةِ الأَميرِ، فَأَسْرَعَ توم إلى الرُّكْنِ البَعيدِ مِنَ الغُرْفَةِ، فَرَأى فَتاةً جَميلَةً تَقِفُ عِنْدَ البابِ تَرْتَسِمُ عَلى وَجْهِها عَلاماتُ الرِّقَّةِ، فَجَثا أمامَها عَلى رُكْبَتَيْهِ.

وَبادَرَتْهُ الأَميرةُ جين قائِلَةً: «ما الأَمْرُ يا أَخي العَزيزَ؟ لِماذا تَرْكَعُ أَمامي؟»

صاحَ توم قائِلًا: «أَنْقِذيني! أَنْقِذيني، إِنَّني لَسْتُ أَخاكِ! إِنَّني

لَسْتُ الأميرَ! ما أنا إلا غُلامٌ مِسْكينٌ أُدْعى توم كانْتي مِنْ عَطْفَةِ بودنج.»

مَدَّتْ يَدَها وَأَمْسَكَتْ بِيَدِهِ، وَقالَتْ لَهُ: «تَعالَ مَعي.»

صاحَ توم: «ألا تُرْسِلينَ في طَلَبِ الأميرِ، وَتَطْلُبينَ مِنْهُ أَنْ يُعيدَ إِلَيَّ مَلابِسي؟»

قالَتِ الأميرَةُ جين: «هَيَّا بِنا فَوالِدُكَ يُريدُ أَنْ يَراكَ.»

قالَ لَها: «والِدي؟ هَلْ جون كانْتي مَوْجودٌ هُنا؟»

وَلَكِنَّ الأميرَةَ جين اصطَحَبَتْهُ وَمَرَّتْ بِهِ عَبْرَ غُرَفِ القَصْرِ الكَبيرَةِ الواحِدَةِ تِلْوَ الأُخْرى.

وَكانَ أَحَدُ الرِّجالِ قَدْ أَبْلَغَ المَلِكَ بِأَنَّ الأميرَ إِدْوارد مَريضٌ.

وَاقتيدَ توم إِلى غُرْفَةٍ فَسيحَةٍ لِلْغايَةِ بِها سَريرٌ، وَرَأى عَلَيْهِ رَجُلًا بَدينًا أَبْيَضَ الوَجْهِ. وَكانَ هَذا الرَّجُلُ هُوَ المَلِكَ هِنْري الثّامِنَ، الَّذي كانَ يُعاني مِنْ مَرَضٍ شَديدٍ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ المُتَوَقَّعِ أَنْ يَعيشَ طَويلًا.

خاطَبَ المَلِكُ توم قائِلًا: «تَعالَ يا إِدْوارْد. أَخْبِرْ أَباكَ المَلِكَ

ماذا بِكَ؟»

سَأَلَهُ توم: «هَلْ أَنْتَ المَلِكُ؟»

أجابَ المَلِكُ: «أَجَلْ بِطَبيعَةِ الحالِ أنا المَلِكُ، وَأنا والِدُكَ. قُلْ لي مِمَّ تَخافُ؟»

قالَ توم: «سَيِّدي، أنا لَسْتُ ابنَكَ، وَلَسْتُ الأميرَ، إِنَّني توم الفَقيرُ.»

رَمَقَهُ المَلِكُ بِنَظْرَةٍ غاضِبَةٍ، وَقالَ لَهُ: «كُفَّ عَنْ هَذِهِ السَّخافاتِ، فَأَنْتَ الأميرُ، وَإذا قُلْتَ ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرى غَضِبْتُ مِنْكَ غَضَبًا شَديدًا. هَلْ تَعْرِفُ ماذا أَفْعَلُ بِالنّاسِ إذا غَضِبْتُ مِنْهُمْ؟»

قالَ توم: «نَعَمْ، أَعْرِفُ يا سَيِّدي.»

قالَ المَلِكُ: «إِذًا انصَرِفْ، وَلا تَدَعْني أَسْمَعُ مِنْكَ المَزيدَ مِنْ هَذِهِ السَّخافاتِ ثانِيَةً. لَقَدْ قَضَيْتَ وَقْتًا طَويلًا في قِراءَةِ عَدَدٍ كَبيرٍ جِدًّا مِنَ الكُتُبِ، وَلا بُدَّ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ أَدارَ رَأسَكَ وَعَقْلَكَ.» ثُمَّ التَفَتَ إلى رَجُلٍ يَقِفُ بِجِوارِهِ وَقالَ لَهُ: «يا لورْد هيرتْفورْد، اِذْهَبْ مَعَ الأميرِ؛ إذْ يَجِبُ أَنْ يَنالَ قِسْطًا مِنَ الرّاحَةِ قَبْلَ الذَّهابِ إلى حَفْلِ المَدينَةِ اللَّيْلَةَ، حَيْثُ يَلْقَى هُناكَ العَديدَ مِنْ كِبارِ الشَّخْصِيّاتِ



الَّذينَ يَرْغَبونَ في مُقابَلَةِ الأميرِ الَّذي سَيَتَولّى المُلْكَ بَعْدَ وَفاتي، ثُمَّ عُدْ إليَّ بَعْدَ ذَلِكَ.»

اِصطَحَبَ اللّورد هيرتْفورْد توم إلى غُرْفَةِ الأميرِ، وَبَعْدَ قَليلٍ عادَ اللّورد هيرتْفورْد إلى المَلِكِ هِنْري الَّذي بادَرَهُ قائِلًا: «أَيُّها اللّورد، أَعْرِفُ أَنَّني لن أعيشَ طَويلًا، وَلَكِنْ لابُدَّ أَنْ تَسيرَ الأمورُ سَيْرَها الطَّبيعِيَّ. فَهُناكَ أوامِرُ لابُدَّ أَنْ تَصْدُرَ، وَقَوانينُ يَجِبُ أَنْ تُنَفَّذَ بِالرَّغْمِ مِنْ مَرَضي الشَّديدِ الَّذي جَعَلَني لا أَقْدِرُ عَلى كِتابَةِ اسمي أَوْ وَضْع خاتَمي المَلَكِيِّ عَلى الأوامِرِ لِتَأْخُذَ صِبْغَتَها الشَّرْعِيَّةَ؛ لِذا يَتَعَيَّنُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْخُذَ الخاتَمَ المَلَكِيَّ الكَبيرَ وَتَسْتَخْدِمَهُ نِيابَةً عَنّي.»

أجابَ اللّورد هيرتْفورْد: «حَسَنًا يا جَلالَةَ المَلِكِ، سَتَسيرُ الأمورُ كَما تُريدُ.» ثُمَّ أضافَ: «هَلْ سَتَأْمُرونَ جَلالَتُكُمْ بِأَنْ يَكونَ الخاتَمُ المَلَكِيُّ الكَبيرُ في حَوْزَتي؟ لَقَدْ أَعْطَيْتُمْ جَلالَتُكُمْ هَذا الخاتَمَ المَلَكِيَّ للأميرِ إدْوارد مُنْذُ يَوْمَيْنِ.»

قالَ المَلِكُ: «نَعَمْ، لَقَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَلَكِنِ اذهَبْ إلى الأميرِ وَاطْلُبِ الخاتَمَ مِنْهُ.»

اِنصَرَفَ اللّورد هيرتْفورْد، وَلَكِنْ سَرْعانَ ما عادَ ثانِيَةً، وَقالَ لِلْمَلِكِ: «يا صاحِبَ الجَلالَةِ، إنَّ الأميرَ لا يَعْرِفُ أَيْنَ يوجَدُ

الخاتَمُ.»

صاحَ المَلِكُ مُتَعَجِّبًا: «لا يَعْرِفُ أَيْنَ الخاتَمُ! هَلْ قالَ لَكَ ذَلِكَ؟»

أجابَ اللُّورْد: «نَعَمْ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ.»

قالَ المَلِكُ: «إِنَّهُ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يَتَذَكَّرَ ماذا فَعَلَ بِهِ!»

قالَ اللُّورْد: «نَعَمْ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ.»

قالَ المَلِكُ: «إِنَّهُ مَريضٌ، وَلِهَذا فَهُوَ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يُفَكِّرَ.»

أَكَّدَ اللُّورد كَلامَ المَلِكِ قائِلاً: هَذا صَحيحٌ يا صاحِبَ الجَلالَةِ.»

قالَ المَلِكُ: «دَعْنا نَنْتَظِرْ بَعْضَ الوَقْتِ، فَسَوْفَ يَتَذَكَّرُ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَما يُشْفَى مِنْ مَرَضِهِ.»

الفَصْلُ الخامِسُ
الْقارِبُ المَلَكِيُّ

يَقَعُ قَصْرُ وِستْمِنِسْتَر عَلى بُعْدِ خُطُواتٍ مِنَ النَّهْرِ، وَتَصِلُ بَيْنَهُما دَرَجاتُ سُلَّم عَريضَةٌ، وَهِيَ الَّتي تُؤَدِّي إلى القارِبِ المَلَكِيِّ الكائِنِ عَلى ضِفَّةِ النَّهْرِ، وَهُوَ قارِبٌ كَبيرٌ اعتادَ المَلِكُ أنْ يَرْكَبَهُ خِلالَ أسْفارِهِ النَّهْرِيَّةِ. وَاصطَفَّ الجُنودُ عَلى كِلا جانِبَي الدَّرَج في انتِظارِ وُصولِ الأميرِ لِيَرْكَبَ القارِبَ.

وَعِنْدَما فُتِحَ بابُ القَصْرِ الكَبيرِ، عِنْدَ طَرَفِ السُّلَّم، صَدَرَتِ الأوامِرُ لِلْجُنودِ بِالانتِباهِ، وَخَرَجَ اللّورد هيرتْفورْد بِصُحْبَةِ نُخْبَةٍ مِنْ عِلْيَةِ القَوْم الَّذينَ اصطَفّوا عَلى كِلا الجانِبَيْنِ. وَانحَنَوْا جَميعًا بِمُجَرَّدِ أنْ رَأَوْا توم عِنْدَ أوَّلِ دَرَجاتِ السُّلَّم. وَكانَ توم يَرْتَدي رِداءً أبْيَض، وَقَدْ وَقَفَ مَكانَهُ يَنْظُرُ إلى النَّهْرِ حَيْثُ قَضى أسْعَدَ أيّام حَياتِهِ، يَلْعَبُ عَلى ضَفَّتِهِ وَيَسْبَحُ في مائِهِ. أمّا الآنَ، فَعَلَيْهِ أنْ يَكونَ

أميرًا، فَهَذا ما أَمَرَ بِهِ المَلِكُ. وَبَدأ توم يَنْزِلُ دَرَجاتِ السُّلَّمِ في تُؤَدَةٍ، حَتَّى وَصَلَ إلى القارِبِ المَلَكِيِّ، وَتَحَرَّكَ القارِبُ مِنْ مَكانِهِ عَبْرَ النَّهْرِ مُتَّجِهًا إلى غيلدْهول، وَهِيَ قاعَةٌ كَبيرَةٌ حَيْثُ يُقامُ الحَفْلُ الكَبيرُ. وَكانَ عُظَماءُ لندن وَسادَتُها مُتَجَمِّعينَ في القاعَةِ في انتِظارِ وُصولِ الأميرِ إدْوارد.

الفَصْلُ السّادِسُ

فِرارُ إدْوارْد

كانَ جون كانْتي يُجَرْجِرُ إدْوارد عَبْرَ الطُّرُقاتِ مُتَّجِهًا بِهِ إلى بَيْتِهِ في عَطْفَةِ بودنج، وَالنّاسُ يَتْبَعونَهُما ضاحِكينَ عَلى الغُلام وَوالِدِهِ.

وَصاحَتِ امْرَأَةٌ عَجوزٌ قائِلَةً: «إنَّ ما تَفْعَلُهُ هُوَ عَيْنُ الصَّوابِ. عَلِّم الصَّبِيَّ أَنْ يَفْعَلَ ما يُؤْمَرُ بِهِ.»

وَعِنْدَما اقتَرَبا مِنَ البَيْتِ اعتَرَضَهُما رَجُلٌ عَجوزٌ وَصاحَ في جون كانْتي قائِلًا: «دَعِ الغُلامَ لِحالِ سَبيلِهِ. أَطْلِقْ سَراحَهُ.»

وَضَرَبَ جون كانْتي هَذا الرَّجُلَ المُسِنَّ عَلى رَأْسِهِ، فَسَقَطَ مُمَدَّدًا عَلى الأَرْضِ، وَمَرَّ النّاسُ فَوْقَهُ وَهُمْ يَتْبَعونَ جون كانْتي. وَظَلَّ الرَّجُلُ المُسِنُّ مُمَدَّدًا في مَكانِهِ عَلى الأَرْضِ، حَتّى فارَقَ الحَياةَ.

دَفَعَ جون كانْتي بابَ غُرْفَتِهِ دَفْعَةً قَوِيَّةً، فَفُتِحَ عَلى مِصْراعَيْهِ، وَقالَ لِزَوْجَتِهِ: «ها هُوَ ذا! ها هُوَ ذا ابنُكِ. لَقَدْ عادَ وَلَمْ يُحْضِرْ مَعَهُ بِنْسًا واحِدًا! بَلْ لَقَدْ أصابَهُ مَسٌّ مِنَ الجُنونِ!»

وَانْدَفَعَتْ والِدَةُ توم ناحِيَةَ إدْوارد قائِلَةً: «آهِ يا بُنَيَّ، يا بُنَيَّ المِسْكينَ!»

وَضَحِكَتِ الجَدَّةُ وَقالَتْ: «اِبنُكِ هَذا مِسْكينٌ! إنَّهُ غُلامٌ عَديمُ النَّفْعِ! إنَّنا نَحْنُ المَساكينُ!»



قالَ جون كانْتي وَهُوَ يُلْقي بإدْوارد عَلى الأرْضِ: «إذا لَمْ تُحْضِرْ نُقودًا إلى البَيْتِ، فَلَنْ تَنالَ شَيْئًا مِنَ الطَّعام.»

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ارتَفَعَ صَوْتٌ مِنَ الخارِجِ يُنادي قائِلًا: «يا جون كانْتي! أَسْرِعْ! اِفْتَح البابَ!»

قالَ جون كانْتي: «ما الأمْرُ؟»

رَدَّ عَلَيْهِ الصَّوْتُ قائِلًا: «أنا صَديقُكَ نِد. لَقَدْ ضَرَبْتَ رَجُلًا مُسِنًّا في الشّارِع، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

أجابَ كانْتي: «بَلى، لَقَدْ حاوَلَ أَنْ يَنْتَزِعَ مِنّي ابني كَيْ يَهْرُبَ.»

قالَ نِد: «إنَّ هَذا الرَّجُلَ هُوَ السَّيِّدُ أنْدرو، وَقَدْ ماتَ. لَقَدْ قَتَلْتَهُ، وَمِنَ الأفْضَلِ لَكَ أَنْ تَرْحَلَ مِنْ هُنا بِسُرْعَةٍ.»

تَساءَلَ جون كانْتي: «ماتَ!» ثُمَّ التَفَتَ إلى زَوْجَتِهِ وَأُمِّهِ وَقالَ لَهُما: «إنَّهُ أمْرٌ سَيِّئٌ، لَقَدْ رَآني عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ النّاسِ وَأنا أَضْرِبُ الرَّجُلَ العَجوزَ، وَسَوْفَ يَشْهَدونَ عَلَيَّ أمامَ القاضي، فَيَحْكُمُ عَلَيَّ بِالمَوْتِ. يَجِبُ أَنْ نَهْرُبَ، هَيّا خُذا البِنْتَيْنِ، وَقابِلاني بِهِما عِنْدَ جِسْرِ لَنْدن، أمّا أنا فَسَوْفَ أَسْلُكُ طَريقًا آخَرَ مَعَ الغُلام.»

أَمْسَكَ جون كانْتي بِإِدْوارد مِنْ ذِراعِهِ وَاقتادَهُ في الطُّرُقاتِ الضَّيِّقَةِ وَالمَسالِكِ الصَّغيرَةِ المُظْلِمَةِ حَتَّى اقتَرَبا مِنَ النَّهْرِ، وَهُناكَ رَأى جَمْهَرَةً مِنَ النّاسِ: ما بَيْنَ واقِفٍ عَلى الشّاطِئِ يَتَطَلَّعُ صَوْبَ النَّهْرِ، وَجالِسٍ إِلى المَناضِدِ يَسْتَمْتِعُ بِالطَّعامِ وَالشَّرابِ، وَقَدْ سَطَعَتِ الأَضْواءُ المُلَوَّنَةُ عَلى ضَفَّتَيِ النَّهْرِ فَصاحَ كانْتي يَسْأَلُ رَجُلًا كانَ بِجانِبِهِ: «ما كُلُّ هَذا؟ ماذا تَنْتَظِرونَ جَميعًا؟»

أَجابَهُ الرَّجُلُ: «إِنَّنا نَنْتَظِرُ وُصولَ الأَميرِ إِدْوارد في القارِبِ المَلَكِيِّ، وَهُوَ في طَرِيقِهِ إِلى قاعَةِ غيلدهول. هَيَّا لِتُشارِكَنا الشَّرابَ وَلْتَهْتِفْ: «حَفِظَ اللَّهُ الأَميرَ إِدْوارد!»

وَحينَما مَدَّ كانْتي يَدَهُ لِيَتَناوَلَ كوبًا كَبيرًا مِنَ الشَّرابِ، أَرْخى قَبْضَتَهُ عَنْ ذِراعِ إِدْوارد، فَانطَلَقَ إِدْوارد بِسُرْعَةٍ هارِبًا بَيْنَ الْجُموعِ المُحْتَشِدَةِ.

نَظَرَ كانْتي حَوْلَهُ فَلَمْ يَجِدِ الغُلامَ، فَصاحَ قائِلًا: «أَيْنَ الغُلامُ؟ أَمْسِكوا بِهِ!»

أَمَّا إِدْوارد فَقَدِ اخْتَفى في الظَّلامِ. وَانطَلَقَ يَجْري بِمُحاذاةِ النَّهْرِ، وَهُوَ يَقولُ لِنَفْسِهِ: «إِلى قاعَةِ غيلدهول، فَهُناكَ يُمْكِنُ أَنْ أَجِدَ توم، وَأَسْتَعيدَ مَكانَتي مَرَّةً أُخْرى.»

الفَصْلُ السّابِعُ
في قاعَةِ غيلْدهول

جَلَسَ وُجَهاءُ مَدينَةِ لندْنَ وَأثْرِياؤُها جَميعًا إلى المَوائِدِ المُسْتَطيلَةِ في قاعَةِ غيلدهول، وَعُيونُهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِالمَدْخَلِ الرَّئيسِيِّ، يَتَرَقَّبونَ ظُهورَ الأميرِ. وَما إنْ وَصَلَ حَتّى هَبَّ الجَميعُ وُقوفًا تَحِيَّةً لَهُ وَإجْلالاً، وَظَلّوا كَذَلِكَ حَتّى تَبَوَّأَ توم مَكانَهُ مِنَ المائِدَةِ الرَّئيسِيَّةِ، ثُمَّ أشارَ إلَيْهِمْ بِالجُلوسِ.

بَدَأَ الحَفْلُ، وَأخَذَ الخَدَمُ يُحْضِرونَ ما لَذَّ وَطابَ مِنَ الأطْعِمَةِ، وَيَضَعونَهُ عَلى المَوائِدِ، بَيْنَما كانَ الحاضِرونَ يَتَسامَرونَ وَيَضْحَكونَ. ثُمَّ دَخَلَ المُغَنّونَ وَشَرَعوا في الغِناءِ، وَرَقَصَتْ فِرْقَةٌ مِنَ الرّاقِصينَ عَلى أنْغام الموسيقى. وَفي أثْناءِ ذَلِكَ وَصَلَ إدْوارد إلى قاعَةِ غيلدهول، فَتَصَدّى لَهُ بَعْضُ الجُنودِ الَّذينَ كانوا واقِفينَ بِالبابِ، إلا أنَّهُ صاحَ فيهِمْ قائِلًا: «أنا الأميرُ إدْوارد! اِفتَحوا البابَ وَدَعوني



أَدْخُلْ.»

ضَحِكَ الجُنودُ ساخِرينَ مِنْهُ، فَصَرَخَ فيهِمْ قائِلًا: «لَقَدْ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَفْتَحوا البابَ. هَيّا نَفِّذوا أَمْري في الحالِ.»

قالَ أَحَدُ الجُنودِ: «لا تَكُنْ غَبِيًّا وَابتَعِدْ.»

إلا أَنَّ إدْوارد واصَلَ صِياحَهُ في الجُنودِ حَتّى بَدَأَ الشُّعورُ بِالاسْتِياءِ وَالغَضَبِ يَتَسَرَّبُ في نُفوسِ الجَماهيرِ المُحْتَشِدَةِ خارِجَ القاعَةِ، فَقالَ قائِلُهُمْ: «أَبْعِدوا هَذا الغُلامَ، إِنَّهُ مَجْنونٌ، وَنَحْنُ نُريدُ رُؤْيَةَ الأَميرِ وَهُوَ خارِجٌ بَعْدَ انتِهاءِ الحَفْلِ.» ثُمَّ تَوَجَّهَ إلى إدْوارد بِقَوْلِهِ: «اُغْرُبْ عَنْ وُجوهِنا أَيُّها الغُلامُ، وَاذهَبْ إلى بَيْتِكَ!»

قالَ إدْواردُ: «لا، لَنْ أَبْرَحَ هَذا المَكانَ. لَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ إِنَّني أَنا الأَميرُ، وَلَيْسَ لي بَيْنَكُمْ أَصْدِقاءُ يَعْرِفونَني، وَلا أَجِدُ بَيْنَكُمْ مَنْ يُساعِدُني، وَلَكِنَّ ما أَقولُهُ هُوَ الصِّدْقُ.»

اِزْدادَ غَضَبُ الجَمْعِ المُحْتَشِدِ، وَلَكِنَّ إدْوارد ظَلَّ ثابِتًا في مَكانِهِ، وَعِنْدَئِذٍ تَقَدَّمَ أَحَدُ الواقِفينَ، وَاتَّجَهَ نَحْوَ إدْوارد، وَقالَ لَهُ: «إِنَّهُ لا يَعْنيني في شَيْءٍ إِنْ كُنْتَ الأَميرَ أَوْ لَمْ تَكُنْ، كَما لا يُهِمُّني إِنْ كُنْتَ مَجْنونًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّكَ غُلامٌ شُجاعٌ،

وَسَوْفَ أساعِدُكَ.»

يُدْعى هَذا الرَّجُلُ مايلْز هِندون، وَقَدْ عادَ لِتَوِّهِ مِنَ الحَرْبِ، وَكانَ في الطَّريقِ إلى بَيْتِهِ في الرّيفِ.

اِقْتَرَبَ الحَشْدُ مِنْ إدْوارد أكْثَرَ فَأكْثَرَ. وَكانَ لِمِثْلِ هَذا التَّجَمْهُرِ خُطورَتُهُ في تِلْكَ الأيّام؛ فَصاحَ فيهِمْ مايلْز قائِلًا: «الْزَموا مَكانَكُمْ، وَلا تَتَقَدَّموا!» وَلَكِنَّ الجَمْعَ المُحْتَشِدَ مِنَ النّاسِ كانوا وَقْتَذاكَ في أشَدِّ حالاتِ الغَضَبِ، فاضْطُرَّ مايلْز إلى أنْ يَسْتَلَّ سَيْفَهُ، وَضَرَبَ بِصَفْحَتِهِ رَجُلًا مِنَ الواقِفينَ.

وَارْتَفَعَ صَوْتٌ مِنْ بَيْنِ هذا الحَشْدِ يَقولُ: «اُقْتُلوهُما!» وَانْهالَتِ الأحْجارُ عَلَيْهِما، وَأصابَ حَجَرٌ إدْوارد فَسَقَطَ عَلى الأرْضِ. أمّا مايْلز فَقَدِ انْبَرى لِلدِّفاعِ عَنْهُ وَإنْقاذِهِ مِنْ أقْدامِ هَذا الحَشْدِ الغاضِبِ الَّتي كادَتْ أنْ تَدْهَسَهُ. وَبَدا الأمَلُ في ذَلِكَ ضَعيفًا، فَقَدْ كانَ عَدَدُ المُحْتَشِدينَ كبيرًا، وَمايْلز أمامَهُمْ بِمُفْرَدِهِ. وكانَ مايلْز يَضْحَكُ في أثْناءِ قِتالِهِ، وَيَقولُ لِنَفْسِهِ: «مَنْ كانَ يَتَصَوَّرُ أنَّني بَعْدَ أنْ نَجَوْتُ مِنْ أخْطارِ تِلْكَ الحَرْبِ الَّتي استَمَرَّتْ سَبْعَ سَنَواتٍ في فرنْسا أنْ أُقْتَلَ في نِهايَةِ الأمْرِ عَلى يَدِ حَشْدٍ مِنَ النّاسِ في لَنْدن!»

وَعِنْدَئِذٍ سُمِعَ صَوْتُ فُرْسانٍ يَصيحونَ في الجُمْهورِ المُحْتَشِدِ

قائِلينَ: «أفْسِحوا الطَّريقَ! أفْسِحوا الطَّريقَ لِلْوَزيرِ الأوَّلِ لِلْمَلِكِ.»

وَأخَذَ الفُرْسانُ يَدْفَعونَ الحَشْدَ أمامَهُمْ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قائِدُهُمْ إلى قاعَةِ غيلدهول.

دَخَلَ اللّورد هيرتْفورْد القاعَةَ، واتَّجَهَ إلى المَكانِ الَّذي يَجْلِسُ فيهِ توم، وَعِنْدَما وَصَلَ خَرَّ عَلى رُكْبَتَيْهِ قائِلًا: «سَيِّدي، لَقَدْ ماتَ والِدُكَ المَلِكُ.» ثُمَّ نَهَضَ واقِفًا وَصاحَ مُخاطِبًا الجُمْهورَ: «لَقَدْ ماتَ المَلِكُ هِنْري! عاشَ المَلِكُ إدْوارد!» فَهَتَفَ كُلُّ مَنْ في القاعَةِ: «عاشَ مَليكُنا!»

وَانْتَهَزَ مايْلز الفُرْصَةَ الَّتي سَنَحَتْ لَهُ، وَجَذَبَ إدْوارد بِسُرْعَةٍ، وَسارَ بِهِ وَسْطَ الظَّلام.

الفَصْلُ الثّامِنُ
في الفُنْدُق

بَعْدَ أنْ نَجا الاثْنانِ وَشَعَرا بِالأمانِ، صَحِبَ مايلْز إدْوارد إلى الفُنْدِقِ الَّذي يُقيمُ فيهِ، وَهُوَ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنَ النَّهْرِ. وبَيْنَما كانا يَخْتَرِقانِ شَوارِعَ المَدينَةِ تَناهَتْ إلى سَمْعِهِما أصْواتُ وَهُتافاتُ الجَماهيرِ، ثُمَّ شاهَدا أُناسًا يَمُرّونَ بِهِما مُسْرِعينَ، وَاسْتَطاعا أنْ يَتَبَيَّنا ما كانَتْ تَهْتِفُ بِهِ الجَماهيرُ وَهُوَ: «ماتَ المَلِكُ هِنْري! عاشَ المَلِكُ إدْواردا!»

تَوَقَّفَ إدْوارد في مَكانِهِ، فَسَأَلَهُ مايلْز: «ما الأمْرُ؟»

أجابَهُ إدْوارد: «إذًا لَقَدْ أصْبَحْتُ أنا المَلِكَ الآنَ.»

قالَ مايلْز: «أميرٌ أوْ مَلِكٌ، الأمْرُ عِنْدي سِيّانٌ، وَلَكِنَّكَ غُلامٌ شُجاعٌ وَسَتَنالُ مِنّي كُلَّ رِعايَةٍ. هَيّا بنا إلى غُرْفَتي الَّتي أُقيمُ بِها

عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْ جِسْرِ لنْدن، وَهُناكَ نَتناوَلُ بَعْضَ الطَّعام، فَأنا في أَشَدِّ الحاجَةِ إلى وَجْبَةٍ جَيِّدَةٍ بَعْدَ عَناءِ ذَلِكَ القِتالِ العَنيفِ.»

كانَتْ غُرْفَةُ مايلْز في فُنْدُقٍ قَريبٍ مِنْ جِسْرِ لنْدن، فَما كادا يَقْتَرِبانِ مِنَ الفُنْدُقِ حَتّى سَمِعَ إدْوارد صَوْتًا يَعْرِفُهُ جَيِّدًا، هُوَ صَوْتُ جون كانْتي.

قالَ جون كانْتي لإدْوارد: «ها أَنْتَ ذا قَدْ جِئْتَ أخيرًا، وَلَسَوْفَ أَضْرِبُكَ ضَرْبًا مُؤْلِمًا لِأَنَّكَ جَعَلْتَني أَنْتَظِرُكَ كُلَّ هَذا الوَقْتِ الطَّويل.»

وَمَدَّ يَدَهُ لِيُمْسِكَ ذِراعَ إدْوارد، غَيْرَ أَنَّ مايلْز هِنْدون تَصَدّى لَهُ، وَجَعَلَ إدْوارد خَلْفَهُ، وَوَقَفَ وَجْهًا لِوَجْهٍ أمامَ كانْتي وَقالَ لَهُ: «مَنْ أنْتَ؟ وَما عَلاقَتُكَ بِهَذا الغُلامِ؟»

قالَ جون كانْتي: «إنَّهُ ابْني.»

صاحَ إدْوارد: «لَيْسَ هَذا صَحيحًا!»

سَأَلَهُ مايلْز: «هَلْ تُريدُ أنْ تَذْهَبَ مَعَ هَذا الرَّجُلِ؟»

أجابَ إدْوارد: «لا! لا! لا! إنَّهُ لَيْسَ أبي. إنَّني أُفَضِّلُ أنْ أموتَ عَلى أنْ أذْهَبَ مَعَهُ.»



قالَ مايلْز: «إذًا لَنْ تَذْهَبَ مَعَهُ.»

صَرَخَ جون كانْتي قائِلًا: «وَلَكِنَّني أقولُ لَكَ إنَّهُ سَيأتي مَعي!» ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ لِيُمْسِكَ بِالغُلام مَرَّةً أخرى. وَعِنْدَئِذٍ وَضَعَ مايلْز يَدَهُ على سَيْفِهِ قائِلًا: «إذا اقتَرَبْتَ مِنْهُ أكْثَرَ مِنْ هَذا، فَسَوْفَ أغْمِدُ هَذا السَّيْفَ في صَدْرِكَ. وَالآنَ امْضِ، وَلا تُرِني وَجْهَكَ مَرَّةً أخْرى.»

مَضى كانْتي، وَاخْتَفى وَسَطَ النّاسِ، وَاصطَحَبَ مايلْز إدْوارد إلى فُنْدُقٍ مُتَواضِعٍ، وَصَعِدا مَعًا إلى غُرْفَةٍ صَغيرَةٍ في الجُزْءِ الخَلْفِيِّ مِنَ الفُنْدُقِ. وَكانَ بِالغُرْفَةِ سَريرٌ وَمَقْعَدانِ ومِنْضَدَةٌ وَحَوْضٌ لِلاغتِسالِ.

ألْقَى إدْوارد بِجَسَدِهِ عَلى الفِراشِ وَقالَ لِمايلْز: «أيْقِظْني عِنْدَما يُعَدُّ الطَّعامُ.» فَضَحِكَ مايلْز وَقالَ لَهُ مازِحًا: «سَمْعًا وَطاعَةً يا سَيِّدي الأميرَ. نَمْ أنْتَ، وَسَآمُرُ خَدَمَكَ أنْ يُعِدّوا لَكَ وَليمَةً.»

تَوَجَّهَ مايلْز بَعْدَ ذَلِكَ إلى المَطْبَخِ، وَأحْضَرَ بَعْضَ الطَّعامِ وَحَمَلَهُ إلى الغُرْفَةِ، وَوَضَعَ المَقْعَدَيْنِ عَلى جانِبَيِ المائِدَةِ، ثُمَّ أيْقَظَ إدْوارد وَقالَ لَهُ: «الوَليمَةُ جاهِزَةٌ أيُّها الأميرُ.»

قالَ إدْوارد: «شُكْرًا لَكَ.»

قالَ مايْلزُ: «إذًا هَيَّا بِنا نَتَناوَلِ الطَّعامَ.»

قالَ إدْوارد: «يَجِبُ أَنْ أَغْسِلَ يَدَيَّ أَوَّلًا.»

وَبَعْدَ أَنْ غَسَلَ إدْواردُ يَدَيهِ جَلَسَ إلى المائِدَةِ، وَكانَ مايْلزُ يَهُمُّ بِالجُلوسِ فَاسْتَوْقَفَهُ إدْوارد وَقالَ لَهُ: «اِنْتَظِرْ! ألا تَعْرِفُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقِفَ حَتّى يَأْذَنَ لَكَ المَلِكُ بِالجُلوسِ؟ الآنَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَجْلِسَ.»

جَلَسَ مايلْز، وَراحا يَتَناوَلانِ طَعامَهُما.

سَأَلَهُ إدْوارْد: «قُلْ لي مَنْ أَنْتَ؟»

قالَ: «أنا مايلْز هِنْدون. وَكُنْتُ أُقيمُ في هِنْدون هول، وَكُنْتُ أوشِكُ أَنْ أَتَزَوَّجَ مِنَ اللّيدي إديث، إلّا أَنَّ أخي الأَصْغَرَ نَقَلَ إلى أبي رِواياتٍ غَيْرَ صَحيحَةٍ عَنّي، فَأُرْسِلْتُ بَعيدًا عَنِ البِلادِ لِلاشتِراكِ في الحَرْبِ، وَتَغَيَّبْتُ خارِجَ إنْجِلْترا سَبْعَ سَنَواتٍ. وَالآنَ يُؤْسِفُني ألا يَتَخَلّى أخي لي عَنْ بَيْتي وَأَرْضي بَعْدَ مُرورِ هَذِهِ الفَتْرَةِ الطَّويلَةِ.»

قالَ إدْوارْد: «سَآمُرُ أخاكَ أَنْ يُعيدَ إلَيْكَ أَرْضَكَ، وَبِصِفَتي مَلِكًا لِلْبِلادِ سَوْفَ أَضُمُّ إلَيْها أَراضِيَ أُخْرى؛ فَقَدْ أَدَّيْتَ خِدْمَةً جَليلَةً لِلْمَلِكِ، هَيّا ناوِلْني سَيْفَكَ وَارْكَعْ أمامي عَلى رُكْبَتَيْكَ. وَالآنَ

انهَضْ يا سِير مايلْز هِنْدون.»

وَفَعَلَ مايلْز ما أَمَرَهُ بِهِ إدْوارْد، وَعِنْدَما نَهَضَ واقِفًا ضَحِكَ وَقالَ: «إذًا، فَأَنا الآنَ سير مايلْز.»

قالَ إدْوارْد: «نَعَمْ أَنْتَ الآنَ سير مايلْز هِنْدون، وَقَدْ جَعَلْتُكَ واحِدًا مِنْ رِجالي المُقَرَّبينَ.»

وَبَعْدَ أَنْ فَرَغا مِنْ تَناوُلِ الطَّعام استَغْرَقَ إدْوارْد في النَّوْم مُسْنِدًا رَأْسَهُ إلى المِنْضَدَةِ، ثُمَّ حَمَلَهُ مايلْز وأَرْقَدَهُ عَلى السَّريرِ، وَقالَ لِنَفْسِهِ:

«يا لَهُ مِنْ غُلام مِسْكينٍ! إنَّهُ في حاجَةٍ إلى قِسْطٍ وافِرٍ مِنَ النَّوْم، وَلَعَلَّ صِحَّتَهُ تَتَحَسَّنُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَكُفُّ عَنِ اعتِقادِهِ بِأَنَّهُ أَميرٌ أَوْ مَلِكٌ، وَيَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ الغُلام العادِيِّ.»

وَنامَ مايلْز عَلى الأَرْضِ.

وَفي الصَّباحِ استَيْقَظَ مايلْز، وَنَظَرَ إلى الغُلام الرّاقِدِ عَلى السَّريرِ، وَلاحَظَ أَنَّ مَلابِسَهُ رَثَّةٌ بالِيَةٌ؛ إذْ كانَ الصِّبْيَةُ قَدْ أَلْقَوْا بِهِ في المِياهِ القَذِرَةِ، ثُمَّ ازدادَ أَمْرُها سُوءًا عِنْدَما أَمْسَكَ بِهِ الجُمْهورُ المُحْتَشِدُ خارِجَ قاعَةِ غيلْدهول، وَأَوْشَكَ أَنْ يَنْتَزِعَها عَنْ جَسَدِهِ.

قالَ مايلْز لِنَفْسِهِ: «لا بُدَّ أَنْ أَذْهَبَ وَأَشْتَرِيَ بَعْضَ المَلابِسِ

لِأميري الصَّغيرِ.» ثُمَّ غادَرَ الغُرْفَةَ.

وَبَعْدَ مُرورِ ساعَةٍ عادَ مايلْز مُحَمَّلًا بِالمَلابِسِ الَّتي اشتَراها، وَفَتَحَ بابَ الغُرْفَةِ، وَنَظَرَ إلى السَّريرِ؛ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهِ إدْوارْد.

خَرَجَ مايلْز مُسْرِعًا مِنَ الغُرْفَةِ، وَسَأَلَ عامِلَ الفُنْدُقِ: «أيْنَ الغُلامُ؟»

أجابَهُ الرَّجُلُ: «لَقَدْ حَضَرَ إلى الفُنْدُقِ شابٌّ اسْمُهُ هوجو، وَطَلَبَ مِنّي أنْ أبَلِّغَ الغُلامَ أنَّ عَلَيْهِ أنْ يُقابِلَ مايلْز هِنْدون عِنْدَ جِسْرِ سازِك، وَقَدْ أبْلَغْتُهُ بالرِّسالَةِ، فَخَرَجَ إثْرَ ذَلِكَ.»

أخَذَ مايلْز يُفَكِّرُ وَقالَ لِنَفْسِهِ: «لا بُدَّ أنَّهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذي زَعَمَ أنَّ الغُلامَ ابنُهُ، وَلا شَكَ أنَّهُ هُوَ الَّذي أرْسَلَ ذَلِكَ الشّابَّ لِاستِدْعائِهِ.»

وَجَمَعَ مايلْز حاجِياتِهِ، وَدَفَعَ أجْرَ إقامَتِهِ بِالفُنْدُقِ، وَانطَلَقَ يَبْحَثُ عَنِ الغُلام.

الفَصْلُ التّاسِعُ
في قصْرِ وسْتمِنِسْتَر

أشْرَقَ الصَّباحُ، وَكانَ توم لا يَزالُ مُسْتَلْقِيًا في فِراشِ الأميرِ في قَصْرِ وِسْتمِنِسْتَر، وَقَدْ وَقَفَ عَلى جانِبِ السَّريرِ اثنانِ مِنَ الرِّجالِ.

قالَ لَهُ أحَدُهُما: «يا صاحِبَ الجَلالَةِ!»

قالَ الثّاني: «إنَّ السّاعَةَ الآنَ الثّامِنَةُ تَمامًا.»

ظَنَّ توم في بادِئِ الأمْرِ أنَّهُ بِالغُرْفَةِ المَوْجودَةِ في عَطْفَةِ بودنج، وَأنَّ أمَّهُ هِيَ الَّتي تُناديهِ لِتوقِظَهُ كالعادَةِ.

وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَرَأى الرَّجُلَيْنِ يَقِفانِ إلى جانِبِ فِراشِهِ.
قالَ لَهُ أحَدُهُما: «يا صاحِبَ الجَلالَةِ!»
سَألَهُ توم: «ماذا تُريدُ؟»

قالَ: «هَلْ تَوَدُّ جَلالَتُكَ أنْ تَنْهَضَ؟»

قالَ لَهُ توم: «أتَعْني هَلْ أوَدُّ أنْ أسْتَيْقِظَ مِنْ نَوْمي؟»

قالَ: «نَعَمْ، هَذا ما أعْنيهِ يا صاحِبَ الجَلالَةِ.»

قالَ توم: «نَعَمْ، هَذا ما أريدُ. هَيّا أحْضِرْ لي مَلابِسي.»

قامَ أحَدُ الرَّجُلَيْنِ بِإحْضارِ مَلابِسِ توم الدّاخِلِيَّةِ إلى الغُرْفَةِ، وَناوَلَها لآخَرَ، فَناوَلَها الآخَرُ لِثالِثٍ، وَقامَ الثّالِثُ بِمُساعَدَةِ توم في ارتِداءِ مَلابِسِهِ الدّاخِلِيَّةِ. ثُمَّ قامَ الأوَّلُ بِإحْضارِ القَميصِ الخاصِّ بِتوم وَأعْطى الثّاني إيّاه، فَناوَلَهُ الثّاني لِلثّالِثِ، الَّذي ساعَدَ توم في ارْتِداءِ القَميصِ. وَتَكَرَّرَ هَذا الأمْرُ مَعَ كُلِّ قِطْعَةٍ مِنَ المَلابِسِ ارتَداها توم.
تَوَجَّهَ توم بَعْدَ ذَلِكَ إلى غُرْفَةٍ أخرى لِيَتَناوَلَ إفْطارَهُ. وَقامَ أحَدُ الخَدَمِ بِإحْضارِ الطَّعامِ إلى الغُرْفَةِ، وَناوَلَهُ لِخادِمٍ ثانٍ، فَناوَلَهُ بِدَوْرِهِ لِخادِمٍ ثالِثٍ قامَ بِوَضْعِ الطَّعامِ عَلى المائِدَةِ. وَكانَ هُناكَ في الوَقْتِ نَفْسِهِ خادِمٌ رابِعٌ، وَآخَرُ خامِسٌ، يَقِفانِ خَلْفَ المَقْعَدِ الَّذي يَجْلِسُ عَلَيْهِ توم، لا يَفْعَلانِ شَيْئًا.

وَبَعْدَ الِانْتِهاءِ مِنْ تَناوُلِ الإفْطارِ دَخَلَ إلى الغُرْفَةِ رَجُلٌ وَقالَ: «إنَّ اللّورد هيرتْفورْد يَوَدُّ أنْ يَتَحَدَّثَ إلى مَوْلايَ المَلِكِ.»



وَسَأَلَهُ لورد هيرتْفورْد إذا كانَ جَلالَتُهُ مُسْتَعِدًّا لِلذَّهابِ إلى غُرْفَةِ الِاجتِماعاتِ، وَهِيَ قاعَةٌ فَسيحَةٌ خُصِّصَتْ لِهَذا الغَرَضِ.

وَجَلَسَ توم عَلى كُرْسِيٍّ عالٍ مُحَلًّى بِالذَّهَبِ، وُضِعَ في أقْصى الغُرْفَةِ. وَبَدَأَ الرِّجالُ يَدْخُلونَ عَلَيْهِ، وَيَنْحَنونَ أمامَهُ، وَيُقَبِّلونَ يَدَهُ، وَيَقْرَأونَ عَلَيْهِ ما دَوَّنوهُ في عَرائِضِهِمْ. وَاستَمَرَّ الأَمْرُ عَلى هَذِهِ الحالِ ساعَةً تِلْوَ أخرى، حَتَّى ضاقَ صَدْرُ توم بِذَلِكَ، وَحَدَّثَ نَفْسَهُ قائِلًا: «تُرى مَتى يَنْتَهي كُلُّ هَذا؟ كَمْ أَوَدُّ أنْ أذْهَبَ لِأَلْعَبَ الكُرَةَ، أوْ أسْبَحَ في النَّهْرِ!»

وَعَلِمَ توم أخيرًا أنَّهُ قَدْ حانَ وَقْتُ العَشاءِ، فَاتَّجَهَ إلى قاعَةٍ أخْرى فَسيحَةٍ تَكادُ أنْ تَكونَ في مِثْلِ مِساحَةِ قاعَةِ غيلدهول. وَكانَ بِالقاعَةِ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ الخَدَمِ، وَخُيِّلَ لِتوم أنَّهُ لَنْ يَفْرَغَ مِنْ عَشائِهِ هَذا أبَدًا.

عاوَدَتْ نَفْسَ توم مَرَّةً أخْرى رَغْبَتُهُ في الذَّهابِ إلى اللَّعِبِ أوِ

السِّباحَةِ، وَلَكِنَّهُ ما كادَ يَفْرَغُ مِنْ تَناوُلِ عَشائِهِ حَتّى وَجَدَ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُوقِّعَ بِاسِم «إدْوارْد» عَلى عَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ الأَوْراقِ. وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ ما تَحْويهِ هَذِهِ الأَوْراقُ، إلا أَنَّهُ لَمْ يَعْبَأْ بِذَلِكَ. ثُمَّ رأى تَوْقيعَ إدْوارْد بِخَطِّ يَدِهِ، فَأَخَذَ يُقَلِّدُهُ حَتّى ضاهاهُ مُضاهاةً كامِلَةً.

وَأُقيمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مَأْدُبَةٌ أُخْرى.

وَعِنْدَما أَوَى توم إلى فِراشِهِ أخيرًا حَدَّثَ نَفْسَهُ قائِلًا: «كُلُّ ما هُنا جَميلٌ: المَلابِسُ وَالبَيْتُ، كَما أَنَّ الطَّعامَ فاخِرٌ لَذيذٌ، وَلَكِنَّني لا أُحِبُّ أَنْ أَكونَ مَلِكًا، وَأَتَمَنّى أَنْ أَعودَ إلى عَطْفَةِ بودنج وَأَلْعَبَ هُناكَ مَعَ أَقْراني مِنَ الصِّبْيَةِ، وَأَسْبَحَ في النَّهْرِ.»

الفَصْلُ العاشِرُ

اللِّصَّ! اللِّصَّ!

نَظَرَ إدْوارْد إلى ذَلِكَ الشّابِّ الَّذي أقْبَلَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَشْعُرْ نَحْوَهُ بِارتِياح؛ إذْ كانَ يَرْتَدي ثِيابًا قَذِرَةً، وَكانَ يَتَلَفَّتُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً دونَ أنْ يَنْظُرَ إلى إدْوارْد.

سَأَلَهُ إدْوارْد: «مَنْ أرْسَلَكَ إلى هُنا؟»

أجابَ: «مايلْز هِنْدون.»

سَأَلَهُ إدْوارْد: «ما اسمُكَ؟»

أجابَ: «اِسْمي هوجو.»

سَأَلَهُ إدْوارْد: «ماذا قالَ لَكَ سير مايلْز؟»

أجابَ هوجو: «قالَ لي: «مُرِ الصَّبِيَّ أنْ يَأْتِيَ إلَيَّ».»

أصابَتْ إدْوارْد الدَّهْشَةُ، وَتَمَلَكَّهُ الغَضَبُ بِسَبَبِ ما سَمِعَهُ وَقالَ: «أقالَ لَكَ: «مُرِ الصَّبِيَّ؟» إنَّني مَليكُهُ.»

اِسْتَطْرَدَ الشّابُّ في كَلامِهِ وَقالَ: «إنَّهُ مُصابٌ بِجُرْحٍ، وَيَطْلُبُ مِنْكَ أنْ تَذْهَبَ إلَيْهِ لِنَجْدَتِهِ.»

قالَ إدْوارْد: «آهِ ما دامَ الأمْرُ كَذَلِكَ فَسَأذْهَبُ إلَيْهِ؛ فَإنَّهُ خادِمي المُخْلِصُ وَسَوْفَ أُساعِدُهُ.»

اِصْطَحَبَ الشّابُّ إدْوارْد، وَانطَلَقَ بِهِ إلى الرّيفِ، وَسارا مَسافَةً طَويلَةً، فَسَألَ إدْوارْد الشّابَّ: «أيْنَ سير مايلْز؟»

أجابَ الشّابُّ: «إنَّهُ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْ هُنا، إنَّهُ داخِلُ تِلْكَ الغابَةِ.»

وَدَخَلا الغابَةَ، وَسارا فيها حَتّى وَجَدا كوخًا صَغيرًا، قَدْ وارَتْهُ الأشْجارُ. فَتَحَ هوجو البابَ، وَدَخَلَ إدْوارْد، فَوَجَدَ فيهِ جون كانْتي الَّذي فاجَأهُ بِقَوْلِهِ: «ها قَدْ جِئْتَ أخيرًا، وَلا شَكَّ أنَّكَ قَدْ أتَيْتَ لِتُساعِدَ والِدَكَ الحَبيبَ الَّذي يَخْتَبِئُ هُنا بَعْدَ أنْ قَتَلَ شَيْخًا أحْمَقَ.»

قالَ إدْوارْد: «أيْنَ سير مايلْز؟ خُذْني إلَيْهِ.»



قالَ جون كانْتي: «لا أعْرِفُ أيْنَ صَديقُكَ، وَلَكِنْ يَبْدو أَنَّكَ تُكِنُّ لَهُ حُبًّا عَظيمًا، الأمْرُ الَّذي جَعَلَني أطْلُبُ مِنْ هوجو أنْ يَحْتالَ عَلَيْكَ بِذِكْرِ اسْمِهِ حَتّى تَأْتِيَ. وَالآنَ عَلَيْكَ أنْ تَخْرُجَ مَعَ هوجو لِتَأْتِيَ لِوالِدِكَ الحَبيبِ بِشَيْءٍ مِنَ المالِ وَالطَّعامِ. إنَّكَ تَعْرِفُ كَيْفَ تَسْتَجْدي النّاسَ، وَسَوْفَ يُراقِبُكَ هوجو كَيْ لا تَهْرُبَ.»

وَاقتادَ هوجو إدْوارْد إلى الطَّريقِ في النّاحِيَةِ الأُخْرى مِنَ الغابَةِ.

قالَ هوجو لإدْوارْد: «قِفْ هُنا، وَسَوْفَ أتَظاهَرُ بِأنَّني أخوكَ، وَأنَّني أُعاني مِنْ مَرَضٍ شَديدٍ، وَعِنْدَما يُقْبِلُ أحَدُ المارَّةِ عَبْرَ الطَّريقِ، سَوْفَ أصْرُخُ مُتَظاهِرًا بِأنَّ الألَمَ قَدِ اشْتَدَّ بي، ثُمَّ تَتَّجِهُ أنْتَ إلَيْهِ وَتَقولُ: «يا لأخي المِسْكينِ! إنَّهُ مَريضٌ جِدًّا، وَلَمْ يَذُقْ شَيْئًا مِنَ الطَّعامِ مُنْذُ مُدَّةٍ، فَساعِدْنا.» هَيّا ها هُوَ ذا شَخْصٌ قادِمٌ نَحْوَنا.» ثُمَّ ألْقى بِنَفْسِهِ عَلى أحَدِ جانِبَي الطَّريقِ وَبَدَأ يَصْرُخُ قائِلًا: «آهِ! آهِ! آهِ! إنَّني أموتُ، أريدُ جُرْعَةَ ماءٍ! النَّجْدَةَ! أغيثوني!»

وَسارَعَ الرَّجُلُ إلَيْهِ وَهُوَ يَقولُ: «يا لَلْوَلَدِ المِسْكينِ! يَجِبُ عَلَيَّ أنْ أمُدَّ لَكُما يَدَ المُساعَدَةِ.»

قالَ هوجو: «أيُّها السَّيِّدُ رَقيقُ القَلْبِ، أعْطِ أخي بِنْسًا حَتّى يَذْهبَ ويَشْتَرِيَ لَنا شَيْئًا مِنَ الطَّعامِ.»

قالَ الرَّجُلُ: «وَلَكِنَّكَ مَريضٌ، وَلا أَسْتَطيعُ أَنْ أَتْرُكَكَ هُنا وَأَنْتَ تَتَلَوّى مِنَ الأَلَم. سَوْفَ يُساعِدُني أخوكَ، لِنَحْمِلَكَ معًا إلى أَحَدِ المَنازِلِ القَريبَةِ.» ثُمَّ التَفَتَ نَحْوَ إدْوارْد قائِلًا: «هَيّا يا غُلامُ، ساعِدْني في حَمْلِ أخيكَ إلى مَنْزِلٍ يَلْقى فيهِ الرِّعايَةَ.»

قالَ إدْوارْد: «أَنا المَلِكُ، وَهَذا لَيْسَ أخي. بَلْ هُوَ مُتَسَوِّلٌ وَلِصٌّ، كَما أَنَّهُ لَيْسَ مَريضًا.»

نَظَرَ الرَّجُلُ إلى هوجو وَقالَ: «ها! إذًا فَهُوَ أَحَدُ هَؤُلاءِ الشَّحّاذينَ! هَيّا تَعالَ مَعي لِتَمْثُلَ أَمامَ القاضي، وَسَوْفَ يَحْكُمُ عَلَيْكَ بِالضَّرْبِ أَوْ بِالإِعْدامِ.»

هَبَّ هوجو واقِفًا، وَفَرَّ هارِبًا بَيْنَ الأَشْجارِ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الرَّجُلُ اللَّحاقَ بِهِ.

وَانطَلَقَ إدْوارْد يَسيرُ في طَريقِهِ، وَهُوَ في غايَةِ السَّعادَةِ لأَنَّهُ نَجا بِأَمانٍ مِنْ هوجو. وَحَدَّثَ نَفْسَهُ قائِلًا: «لَنْ أَرى هوجو أَوْ جون كانْتي بَعْدَ ذَلِكَ مَرَّةً أُخرى.»

إلا أَنَّهُ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالذّاتِ خَرَجَ عَلَيْهِ هوجو مِنْ بَيْنِ الأَشْجارِ الَّتي عَلى أَحَدِ جانِبَيِ الطَّريقِ، وَقالَ لَهُ: «إذًا، فَقَدْ كُنْتَ تُريدُ أَنْ



يُحْكَمَ عَلَيَّ بِالإِعْدامِ! أَلا تَعْرِفُ أَنَّ المُتَسَوِّلينَ وَاللُّصوصَ يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ بِالإِعْدامِ؟ لَنْ أَنْسى لَكَ ذَلِكَ أَبَدًا، وَسَوْفَ أُلَقِّنُكَ دَرْسًا لَنْ تَنْساهُ!»

بَيْنَما كانَ هوجو يَسيرُ بِجِوارِ إِدْوارْد، كانَ يُفَكِّرُ في الطَّريقَةِ الَّتي يُمْكِنُهُ بِها أَنْ يُلَقِّنَ إِدْوارْد هَذا الدَّرْسَ القاسِيَ العَنيفَ.

وَوَصَلا إِلى المَدينَةِ، وَكانَتْ شَوارِعُها مُكْتَظَّةً بِأَعْدادٍ كَبيرَةٍ مِنَ النّاسِ، يَبيعونَ وَيَشْتَرونَ. وَمَرَّتْ بِهِما سَيِّدَةٌ تَحْمِلُ سَلَّةً بِها دَجاجَةٌ سَمينَةٌ جَميلَةُ المَنْظَرِ، قَدْ أُعِدَّتْ لِلطَّهْيِ، فَتَناوَلَ هوجو حَجَرًا ثَقيلًا مِنَ الأَرْضِ، وَمَشى بِهِ خَلْفَ السَّيِّدَةِ، ثُمَّ وَضَعَ الحَجَرَ في السَّلَّةِ، وَأَخَذَ مِنْها الدَّجاجَةَ، وَجَرى مُسْرِعًا، وَوَضَعَ الدَّجاجَةَ بَيْنَ ذِراعَيْ إِدْوارْد، وَأَخَذَ يَصيحُ: «اللِّصَّ! اللِّصَّ!» ثُمَّ جَرى في الشّارِعِ مُبْتَعِدًا.

وَالتَفَتَتِ المَرْأَةُ فَرَأَتْ إِدْوارْد يَحْمِلُ دَجاجَتَها السَّمينَةَ فَصاحَتْ قائِلَةً: «ها هُوَ ذَا اللِّصُّ! إِلَيَّ بِشُرْطِيٍّ! نادوا لي شُرْطِيًّا!»

وتَجَمَّعَ حَشْدٌ غاضِبٌ مِنَ النّاسِ حَوْلَ إِدْوارْد، وَبَرَزَ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ ضَخْمُ الجُثَّةِ وَقالَ: «لَنْ نَنْتَظِرَ قُدومَ الشُّرْطِيِّ. إِنَّ بِهَذا المَكانِ عَدَدًا كَبيرًا مِنَ اللُّصوصِ، فَتَعالَوْا نَقْضِ عَلَيْهِ بِأَنْفُسِنا.»

وَسَمِعَ إِدْوارْد وَقْعَ سَنابِكِ جَوادٍ خَلْفَهُ، وَالتَفَتَ فَرَأى مايلْز هِنْدون عَلى الجَوادِ يَشُقُّ طَريقَهُ وَسَطَ الحَشْدِ، فَصاحَ يُناديهِ: «يا سير مايلْز! يا سير مايلْز! أَنْجِدْني!»

قال مايلْز: «هأنَذا قَدْ عَثَرْتُ عَلَيْكَ أخيرًا! ما الأَمْرُ؟»

قالَ إِدْوارْد: «إِنَّ هَذِهِ المَرْأَةَ تَقولُ إِنَّني سَرَقْتُ دَجاجَتَها.»

قالَتِ المَرْأَةُ: «لَقَدْ أَخَذَها مِنْ سَلَّتي، وَها هِيَ ذي مَعَهُ.»

قالَ مايلْز: «آهِ، إِنَّها دَجاجَةٌ سَمينَةٌ شَكْلُها جَميلٌ، وَهِيَ الدَّجاجَةُ نَفْسُها الَّتي طَلَبْتُ مِنْكَ أَنْ تَشْتَرِيَها لي، وَلَكِنْ كانَ عَلَيْكَ أَنْ تَسْأَلَ السَّيِّدَةَ ما إِذا كانَتْ تُريدُ أَنْ تَبيعَها أَمْ لا.»

وَأَمْسَكَ مايلْز بِذِراعِ السَّيِّدَةِ وَانْتَحى بِها جانِبَ الطَّريقِ، وَقالَ لَها: «إِنَّ خادِمي وَلَدٌ أَحْمَقُ، ومُصابٌ بِلَوْثَةٍ في عَقْلِهِ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ هُوَ المَلِكُ؛ لِذا أَرْجو أَلّا تُعامِليهِ بِقَسْوةٍ. وَإِنَّني موقِنٌ مِنْ أَنَّهُ وَضَعَ لَكِ النُّقودَ في السَّلَّةِ؛ فَهَيّا بِنا نَبْحَثْ عَنْها.» وَكانَ مايلْز قَدْ أَخْفى في يَدِهِ مَبْلَغًا مِنَ المالِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ في السَّلَّةِ قائلًا: «نَعَمْ، ها هُوَ ذا المَبْلَغُ، خَمْسونَ بِنْسًا. كانَ عَلَيْكِ أَلا تَقولي إِنَّ الصَّبِيَّ قَدْ سَرَقَ قَبْلَ أَنْ تَتَأَكَّدي مِنْ ذَلِكَ.»

قالَتِ المَرْأَةُ: «ها هِيَ ذي الدَّجاجَةُ، خُذْها، وَلا أُريدُ النُّقودَ.»

إلا أَنَّ مايلْز وَضَعَ لَها المَبْلَغَ في السَّلَّةِ، وَقالَ لإِدْوارْد: «هَيّا بنا يا غُلامُ.» ثُمَّ أَرْكَبَهُ خَلْفَهُ عَلى ظَهْرِ جَوادِهِ، وَانطَلَقا معًا.

سَأَلَ إِدْوارْد: «كَيْفَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْثُرَ عَلَيَّ؟»

أَجابَ مايلْز: «لَقَدْ لَقيتُ رَجُلًا في فُنْدُقٍ صَغيرٍ، وَحَكى لي عَنْ لِقائِهِ بِاثْنَيْنِ مِنَ المُتَسَوِّلينَ، وَقالَ إِنَّ أَحَدَهُما كانَ يَقولُ عَنْ نَفْسِهِ: «أنا المَلِكُ، وَهَذا لَيْسَ أَخي.» فَعَرَفْتُ أَنَّكَ أَحَدُ الاثْنَيْنِ.»

قالَ إِدْوارْد: «إِلى أَيْنَ نَحْنُ ذاهِبونَ الآنَ؟»

قالَ مايلْز: «إِلى هِنْدون هول.»

قالَ إِدْوارْد: «يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْخُذَني مَعَكَ، وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيَّ أَنْ أُسْرِعَ إِلى وِسْتمِنِسْتَر؛ لِكَيْ أَتَوَّجَ مَلِكًا.»

الفَصْلُ الحادِيَ عَشَرَ

هِنْدون هول

قَضى مايلْز وَإدْوارْد لَيْلَتَهُما في أَحَدِ الفَنادِقِ، ثُمَّ واصَلا سَيْرَهُما في اليَوْمِ التّالي. وَبَعْدَ الظُّهْرِ صَعِدا تَلًّا مُرْتَفِعًا، ثُمَّ تَوَقَّفَ مايلْز، وَأَشارَ إلى بَيْتٍ كَبيرٍ بَيْنَ الأَشْجارِ قائِلًا: «ها هُوَ ذا بَيْتي. هَلْ رَأَيْتَ بَيْتًا كَبيرًا مِثْلَ هَذا مِنْ قَبْلُ؟ إنَّ فيهِ خَمْسينَ غُرْفَةً، وَكانَ لَدَيْنا عِشْرونَ خادِمًا. تَصَوَّرْ أَيُّها الغُلامُ، عِشْرونَ خادِمًا!»

وَانحَدَرا مِنْ أَعْلى التَّلِّ، وَقالَ مايلْز: «اُنْظُرْ، إنَّ كُلَّ شَيْءٍ كَما هُوَ لَمْ يَتَغَيَّرْ.»

وَمَرّا مِنْ بَوّابَةٍ كَبيرَةٍ، وَقالَ مايلْز: «هَذا هُوَ مَنْزِلُنا هِنْدون هول، وَكَمْ أنا سَعيدٌ بِأَنْ أَعودَ إلَيْهِ! وَكَمْ سَيَسْعَدُ كُلُّ مَنْ فيهِ بِرُؤْيَتي!»

وَتَرَجَّلَ مايلْز عَنْ ظَهْرِ جَوادِهِ، وَساعَدَ إدْوارْد عَلى النُّزولِ، ثُمَّ

انطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ يَعْدو إلى داخِلِ البَيْتِ. وَكانَ هُناكَ شابٌّ يَجْلِسُ إلى مائِدَةٍ، فَصاحَ بِهِ مايلْز: «آرْثَر! هَيّا قُلْ إنَّكَ سَعيدٌ بِأنْ تَراني مَرَّةً أُخرى، أيْنَ والِدي؟»

تَطَلَّعَ الشّابُّ إلَيْهِ وَسَألَهُ: «مَنْ أنْتَ؟»

أجابَهُ: «أنا مايلْز هِنْدون، وَأنْتَ شَقيقي آرْثَر. لَقَدْ عُدْتُ لِتَوّي مِنَ الحَرْبِ بَعْدَ سَبْعَةِ أعْوام.»

قالَ آرْثَر: «لَقَدْ لَقِيَ أخي حَتْفَهُ في المَعْرَكَةِ مُنْذُ ثَلاثِ سَنَواتٍ مَضَتْ، وَقَدْ وَصَلَني خِطابٌ مِنْ فرنسا يُؤَكِّدُ أنَّهُ قَدْ ماتَ.»

قالَ مايلْز: «لَيْسَ هَذا صَحيحًا؛ هَيّا نادِ والِدي سير روبِرْت. أيْنَ والِدي؟ إنَّهُ سَيَعْرِفُني.»

قالَ الشّابُّ: «لَقَدْ ماتَ سير روبِرْت.»

قالَ مايلْزُ: «إذًا نادِ الخَدَمَ الَّذينَ كانوا هُنا مُنْذُ سَبْعِ سَنَواتٍ، فَإنَّهُمْ سَيَعْرِفونَني.»

قالَ آرْثَر: «إنَّهُمْ جَميعًا حَديثو العَهْدِ بِالخِدْمَةِ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ أحَدٌ مِمَّنْ ذَكَرْتَ.»



قالَ مايلْز: «آهِ، لَقَدْ طَرَدْتَهُمْ جَميعًا! لَقَدْ فَهِمْتُ الآنَ ما فَعَلْتَ. إنَّكَ أعْدَدْتَ العُدَّةَ لِعَوْدَتي؛ فَيَجِبُ ألّا يَعْرِفَني أحَدٌ، أوْ يَشْهَدَ بِأنّي أخوكَ، وَلَكِنَّ ليدي إديث سَوْفَ تَتَذَكَّرُني.»

قالَ آرْثَر: «إنَّ ما تَعْرِفُهُ ليدي إديث هُوَ أنَّ مايلْز هِنْدون قَدْ ماتَ؛ لِأنَّها قَرَأتِ الخِطابَ، ثُمَّ إنَّها سَتصيرُ زَوْجَتي في القَريبِ العاجِلِ.»

قالَ مايلْز: «إنَّكَ أنْتَ الَّذي كَتَبَ هَذا الخِطابَ، وَأبْلَغَه

بِوَفاتي.» ثُمَّ اندَفَعَ عَبْرَ الحُجْرَةِ نَحْوَ أخيهِ وَقالَ لَهُ: «لَقَدْ سَرَقْتَ بَيْتي، وَسَرَقْتَ أرْضي، وَتُريدُ الآنَ أنْ تَسْتَولِيَ عَلى ليدي إديث الَّتي كُنْتُ سَأتَزَوَّجُها!» وَدَفَعَ آرْثَر نَحْوَ الأرْضِ.

صاحَ آرْثَر: «النَّجْدَةَ! النَّجْدَةَ! النَّجْدَةَ!» وَسَمِعَ الخَدَمُ صَيْحاتِهِ؛ فَاندَفَعوا جَرْيًا نَحْوَ الغُرْفَةِ، وَاقْتادوا مايلْز وَإدْوارْد إلى السِّجْنِ.

الفَصْلُ الثانِيَ عَشَرَ
في السِّجْنِ

بَيْنَما كانَ مايلْز وَإِدْوارْد في السِّجْنِ قالَ إِدْوارْد لِصاحِبِهِ: «إلى متى تَعْتَقِدُ أَنَّنا سَنَبْقى هُنا في السِّجْنِ؟»

قالَ مايلْز: «سَنَبْقى هُنا حَتّى يَأْتِيَ القاضي، وَوَقْتَئِذٍ سَيَسْتَمِعُ إلى ما يَقولُهُ آرْثَر، ثُمَّ يُصْدِرُ حُكْمَهُ.»

قالَ إِدْوارد: «وَما هُوَ هَذا الحُكْمُ؟»

قالَ مايلْز: «رُبَّما يَظُنُّ أَنَّنا مَجْنونانِ، وَيَأْمُرُ بِضَرْبِنا، ثُمْ يُخْلي سَبيلَنا.»

قالَ إِدْوارْد: «أَيَضْرِبونَني وَأَنا المَلِكُ؟»

وَعِنْدَئِذٍ سَمِعا صَوْتًا بِالبابِ. وَبَعْدَ أَنِ انفَتَحَ البابُ دَخَلَ رَجُلٌ،

وَوَضَعَ بَعْضَ الطَّعام عَلى المائِدَةِ، ثُمَّ اسْتَدارَ لِيَخْرُجَ إلا أَنَّهُ تَوَقَّفَ عِنْدَما نَظَرَ إلى وَجْهِ مايلْز.

صاحَ مايلْز: «بازِل! بازِل! لَقَدْ كُنْتَ تُعْنى بالحَديقَةِ عِنْدَما كانَ والِدي عَلى قَيْدِ الحَياةِ.»

قالَ الرَّجُلُ: «ماذا؟ نَعَمْ! هَذا هُوَ أَنْتَ السَّيِّدُ مايلْز. كَلا، لا يُمْكِنُ؛ فَإِنَّ السَّيِّدَ مايلْز قَدْ قُتِلَ في الحَرْبِ.»

قالَ مايلْز: «لا يا بازِل. مايلْز لَمْ يُقْتَلْ. لَقَدْ كَتَبَ أخي خِطابًا بِنَفْسِهِ لِيَقولَ إِنَّني قَدْ قُتِلْتُ؛ لِأَنَّهُ كانَ يُريدُ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلى أَرْضي وَيَفوزَ بِاللِّيدي إديث، وهأنذا قَدْ عُدْتُ إلى البَيْتِ.»

قالَ بازِل: «يُسْعِدني أَنْ أَراكَ مَرَّةً أُخْرى يا سَيِّدُ مايلْز. إِنَّ أَخاكَ آرْثَر رَجُلٌ شِرّيرٌ؛ فَقَدْ طَرَدَ كُلَّ الخَدَمِ القُدامى. سَوْفَ أُخْبِرُ الجَميعَ أَنَّكَ قَدْ عُدْتَ.»

قالَ مايلْز: «لا! لا! يَجِبُ أَلّا تُخْبِرَ أَحَدًا بِأَنّي هُنا؛ فَلَوْ تَبَيَّنَ أَخي أَنَّ أَحَدًا يَعْرِفُني، فَإِنَّهُ سَيُرْسِلُ الرِّجالَ لِيَقْتُلوني فَوْرَ خُروجي مِنَ السِّجْنِ.»

قالَ بازِل: «نَعَمْ، إِنَّهُ لا يَتَوَرَّعُ عَنْ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ.»

قالَ مايلْز: «عِنْدَما يُطْلَقُ سَراحي وَأَخْرُجُ مِنْ هُنا، سَأَذْهَبُ إلى لَنْدن حَيْثُ أَجِدُ الأَصْدِقاءَ، وَمِنْ بَيْنِ أَصْدِقائي هُناكَ سِير هَمْفري مارْلو، وَهُوَ قائِدُ الحامِيَةِ الَّتي تَتَولى حِراسَةَ قَصْرِ وِسْتمِنسْتَر، وَكانَ مَعي في فَرَنْسا، وَيَعْرِفُ أَنَّني لَمْ أُقْتَلْ في الحَرْبِ. كَما أَنَّ هُناكَ آخَرينَ وسَأَذْهَبُ إلَيْهِمْ، وَلا شَكَّ أَنَّهُمْ سَيَذْهَبونَ إلى المَلِكِ، وَيَشْهَدونَ لِصالِحي، فَيُعيدُ المَلِكُ إلَيَّ بَيْتي وَأَرْضي، فَلا تَقُلْ شَيْئًا يا بازِل حَتّى أعودَ.»

وَضَحِكَ إِدْوارْد وَقالَ: «المَلِكُ! قُلْ لَهُ، يا بازِلُ، مَنِ المَلِكُ الآنَ.»

قالَ بازِل: «إنَّ المَلِكَ هِنْري قَدْ ماتَ، وَيَقولُ النّاسُ إنَّ الأَميرَ الصَّغيرَ إِدْوارْد لَمْ يُتَوَّجْ بَعْدُ، وَلَكِنَّهُ سَوْفَ يُتَوَّجُ في القَريبِ العاجِلِ، وَيُصْبِحُ المَلِكَ.»

صاحَ إِدْوارْد: «إِذًا يَجِبُ أَنْ نَهْرُبَ مِنْ هَذا السِّجْنِ، وَلا بُدَّ أَنْ أَذْهَبَ إلى لَنْدَن كَيْ أُتَوَّجَ مَلِكًا.»

****

اِسْتَمَعَ القاضي إلى قِصَّةِ آرْثَر، ثُمَّ سَأَلَهُ: «مَنْ هَذا الرَّجُلُ؟»

أجابَهُ آرْثَر: «لا أدْري، وَأنّى لي أنْ أعْرِفَهُ، لا بُدَّ أنَّهُ لِصٌّ أوْ مُتَسَوِّلٌ. كَما أنَّ بِهِ مَسًّا مِنَ الجُنونِ، فَهُوَ يَزْعُمُ أنَّهُ شَقيقي مايلْز الَّذي قُتِلَ في الحَرْبِ مُنْذُ ثَلاثِ سَنواتٍ، وَقَدْ قيلَ لي إنَّ هَذا الغُلامَ الَّذي يُرافِقُهُ مُصابٌ بِلَوْثَةٍ في عَقْلِهِ؛ فَإنَّهُ يَعْتَقِدُ أنَّهُ هُوَ المَلِكُ.»

قالَ القاضي: «أمَرْنا بِأنْ يُقَيَّدَ هَذا الرَّجُلُ بِالأغْلالِ، وَيُرْسَلَ إلى السِّجْنِ. أمّا الغُلامُ فَيُضْرَبُ حَتّى يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يُحْسِنُ اخْتِيارَ أصْدِقائِهِ.»



قالَ مايلْز: «لا، يا سَيِّدي! هَذا الغُلامُ صَغيرُ السِّنِّ، ضَعيفُ البِنْيَةِ، كَما أنَّهُ مَريضٌ، فَاجْعَلْهُمْ يَضْرِبونَني أنا بَدَلًا مِنْهُ.»

قالَ القاضي: «فَلْيَكُنِ الأمْرُ كَما طَلَبْتَ.»

وَنالَ مايلْز عُقوبَةَ الضَّرْبِ، وَبَعْدَها قُيِّدَ بِالأغْلالِ. وَتَوافَدَ النّاسُ عَلَيْهِ لِيَرَوْهُ وَهُوَ مُقَيَّدٌ، وَأخَذوا يُلْقونَ عَلَيْهِ ما في أيْديهِمْ مِنْ أشْياءَ، إلا أنَّ إدْوارْد وَقَفَ في مُواجَهَتِهِمْ، وَقالَ لَهُمْ: «ابْتَعِدوا وَكُفّوا أيْدِيكُمْ عَنْهُ، إنَّهُ صَديقي. إنّي آمُرُكُمْ بِأنْ تَرْجِعوا عَنْهُ!»

ضَحِكَ النّاسُ وَقالوا: «إنَّهُ غُلامٌ شُجاعٌ، وَيُحِبُّ صَديقَهُ.»

وَاسْتَمَرَّ بَعْضُهُمْ يُلْقي عَلى مايلْز بَعْضَ البَيْضِ الفاسِدِ وَالفاكِهَةِ المُتَعَفِّنَةِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَقْذِفوهُ بِالكَثيرِ. وَظَلَّ مايلْز جالِسًا عَلى الأرْضِ مُقَيَّدًا بِالأغْلالِ طولَ النَّهارِ، وَعِنْدَما حَلَّ المَساءُ جاءَ بازِل وَأحْضَرَ لَهُما الطَّعامَ، وَفَكَّ وَثاقَ مايلْز وَأطْلَقَ سَراحَهُ.

وَانْطَلَقَ مايلْز وَإدْوارْد إلى لَنْدَن.

الفَصْلُ الثّالِثَ عَشَرَ
تَتْويجُ المَلِكِ

عِنْدما وَصَلَ مايلْز وَإِدْوارْد إلى لَنْدَن، وَجَدا شَوارِعَها تَموجُ بِالنّاسِ، وَأَبْصَرا الأَعْلامَ تُرَفْرِفُ خَفّاقَةً فَوْقَ المَباني، وَذَهَبا إلى أَحَدِ الفَنادِقِ، وَتَناوَلا وَجْبَةً مِنَ الطَّعام. وَبَعْدَ أَنْ فَرَغا مِنْ طَعامِهِما، قالَ إِدْوارْد: «إِلَيَّ بِوَرَقَةٍ وَقَلَم. أُريدُ أَنْ أَكْتُبَ رِسالَةً.»

سَأَلَهُ مايلْز وَهُوَ يَضْحَكُ: «إِلى مَنْ سَتَكْتُبُ؟ هَلْ سَتَكْتُبُ إِلى المَلِكِ؟ إِنَّهُ لَنْ يَقْرَأَ رَسائِلَ اليَوْم، فَإِنَّهُ سَيُتَوَّجُ اليَوْمَ.»

جَلَسَ إِدْوارْد يُفَكِّرُ، وَأَمامَهُ الوَرَقَةُ وَالقَلَمُ، وَحَدَّثَ نَفْسَهُ قائِلًا: «تُرى ماذا يُمْكِنُ أَنْ أَكْتُبَهُ، لِأَحْمِلَ كِبارَ رِجالِ الدَّوْلَةِ عَلى أَنْ يُصَدِّقوني؟ وَما الشَّيْءُ الَّذي أَعْرِفُهُ وَيَجْهَلُهُ توم؟ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ شَيْئًا لا يَعْرِفُهُ أَيُّ شَخْصٍ في العالَم. نَعَمْ، لَقَدْ تَذَكَّرْتُ هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ!» وَكَتَبَ بِضْعَ كَلِماتٍ وَقالَ: «هَيّا بِنا إلى قَصْرِ

وِسْتمِنِسْتَر.»

وَصَلَ مايلْز وَإدْوارْد إلى بَوّابَةِ قَصْرِ وِسْتمِنِسْتَر، وَكانَ كُلُّ كِبارِ رِجالِ الدَّوْلَةِ وَزَوْجاتُهُمْ قَدْ تَجَمَّعوا في قاعَةٍ فَسيحَةٍ في القَصْرِ حيْثُ تَجْري فيها مَراسِمُ تَتْويج مُلوكِ إنْجِلْترا وَمَلِكاتِها. وَفي داخِلِ القَصْرِ كانَ توم يَتَأهَّبُ لِيَرْتَدِيَ أفْخَرَ الثِّيابِ لِيَهْبِطَ إلى القاعَةِ لِكَيْ يُتَوَّجَ مَلِكًا. وَكانَ يُرافِقُهُ اللّوْرْد هيرتْفورْد، وَاللّورد سُومَرْسِت، وَعَدَدٌ مِنْ حُكّامِ الأقاليم. وَعَلى بابِ القاعَةِ وَقَفَ سِير هَمْفري مارْلو، يُصْدِرُ أوامِرَهُ إلى الجُنودِ.

كانَتْ ثَمَّةَ ضَجَّةٌ عِنْدَ بَوّابَةِ القَصْرِ، وَسُمِعَ صَوْتُ صُراخٍ وَعِراكٍ، فَاسْتَدارَ سِير همفري إلى أحَدِ رِجالِهِ وَقالَ لَهُ: «اِذْهَبْ وَانْظُرْ ماذا يَحْدُثُ هُناكَ.»

وَبَعْدَ قَليلٍ عادَ الجُنْدِيُّ إلى سِير هَمْفري، وَقالَ لَهُ: «هُناكَ رَجُلٌ مَعَهُ غُلامٌ. الرَّجُلُ يَقولُ إنَّهُ مايلْز هِنْدون، وَالغُلامُ يَقولُ إنَّ مَعَهُ رِسالَةً لِلْمَلِكِ، وَأعْتَقِدُ أنَّهُ مَجْنونٌ؛ إذْ يَقولُ إنَّهُ المَلِكُ.»

قالَ سِير هَمْفري: «أتَقولُ مايلْز هِنْدون؟ إنَّهُ رَجُلٌ شُجاعٌ، وَمُحارِبٌ قَديرٌ، فَما شَأْنُهُ بِهَذا العِراكِ عِنْدَ بَوّابَةِ القَصْرِ؟»

وَتَقَدَّمَ توم خُطْوَةً، وَقالَ: «هَلْ قُلْتَ: إنَّ هُناكَ غُلامًا وَمَعَهُ

رِسالَةٌ؟»

أجابَ: «نَعَمْ يا صاحِبَ الجَلالَةِ.»

قالَ سير هَمْفري: «وَلكِنْ يا صاحِبَ الجَلالةِ...»

قالَ توم: «إنّي آمُرُ بِأنْ تُحْضِرَهُما حالًا!»

وَهكَذا أحْضَرَ الجُنودُ مايلْز وَإدْوارْد إلى الغُرْفَةِ الَّتي يَجْتَمِعُ فيها توم وَعُظَماءُ رِجالِ الدَّوْلَةِ.

وَما إنْ مَرَّ إدْوارْد مِنَ البابِ، حَتّى جَرى توم نَحْوَهُ، وَخَرَّ راكِعًا عَلى رُكْبَتَيْهِ أمامَهُ، وَصاحَ: «يا صاحِبَ الجَلالَةِ، جِئْتَ في الوَقْتِ المُناسِبِ.»

قالَ اللّورد هيرتْفورْد: «ها هُوَ ذا الجُنونُ قَدْ عاوَدَهُ مَرَّةً أُخْرى، فَماذا نَحْنُ فاعِلونَ؟»

وَمَدَّ إدْوارْد يَدَهُ لِيُساعِدَ توم عَلى الوقوفِ، وَوَقَفا جَنْبًا إلى جَنْبٍ.

وَصاحَ سِير هَمْفري في رِجالِهِ، وَهُوَ يُشيرُ إلى إدْوارْد: «اِقْبِضوا عَلى هَذا الغُلام!» ثُمَّ اسْتَدارَ نَحْوَ مايلْز وسأَلَهُ: «ماذا تَفْعَلُ هُنا يا مايلْز؟»



صاحَ اللّورد هيرتْفورْد قائِلًا: «اِنْتَظِروا! أُنْظُروا إلى وَجْهَيْ هَذَيْنِ الغُلامَيْنِ! إِنَّهُما مُتَشابِهانِ إلى حَدٍّ بَعيدٍ، وَأنا لا أكادُ أُصَدِّقُ عَيْنَيَّ، وَلا أعْرِفُ فيمَ أُفَكِّرُ. وَلَعَلَّ أميرَنا لَيْسَ مُصابًا بِمَسٍّ مِنَ الجُنونِ، وَمَنْ يَدْري لَعَلَّهُ لَيْسَ الأميرَ الحَقيقِيَّ.»

قالَ اللّورد سومَرْسِت لِلّورد هيرتْفورْد: «هَلْ لَدَيْكَ سُؤالٌ يُمْكِنُ أنْ نُوَجِّهَهُ لِهَذا الغُلام يُعينُنا عَلى أنْ نَعْرِفَ الحَقيقَةَ؟»

اِلْتَفَتَ اللّورد هيرتْفورْد إلى إدْوارْد، وَأَخَذَ يُوَجِّهُ إلَيْهِ سُؤالًا بَعْدَ آخَرَ عَنِ المَلِكِ هِنْري، وَعَنْ والِدَةِ إدْوارْد، وَعَنِ القَصْرِ، وَمنْ يَعْمَلونَ بِهِ؛ فَأجابَ إدْوارْد عَنْ كُلِّ هَذِهِ الأسْئِلَةِ. إلّا أنَّ اللّورد سومَرْسِت قالَ: «رُبَّما عَرَفَ كُلَّ هَذِهِ الإجاباتِ دونَ أنْ يَكونَ هُوَ الأميرَ الحَقيقِيَّ!»

قالَ توم: «ماذا في هَذا الخِطابِ؟»

وَتَناوَلَ اللّورد هيرتْفورْد الوَرَقَةَ وَقَرَأَ الآتي: «أيْنَ الخاتَمُ الأعْظَمُ لِلدَّوْلَةِ؟»

وَالْتَفَتَ إلى توم، وَقالَ لَهُ: «لَقَدْ سَأَلْتُكَ يا صاحِبَ الجَلالَةِ هَذا السُّؤالَ وَلَمْ تُجِبْني عَنْهُ.»

قالَ توم: «أنا لا أعْرِفُ هَذا الخاتَمَ الأعْظَمَ، وَلا أعْرِفُ مَكانَهُ.»

وَعِنْدَئِذٍ قالَ إدْوارْد: «اِبْحثوا عَنْهُ داخِلَ القِطْعَةِ الَّتي تَقي الذِّراعَ مِنْ عُدَّةِ الحَرْبِ في غُرْفَتي، وَسَوْفَ تَجِدونَهُ بِها.»

صاحَ توم: «أهُوَ ذَلِكَ الشَّيْءُ المُسْتَديرُ الثَّقيلُ؟»

قالَ لَهُ اللّوردُ هيرتْفورْد: «نَعَمْ، إنَّهُ هُوَ، فَماذا فَعَلْتَ بِهِ؟ قُلْ لي!»

قالَ توم: «لَقَدْ كُنْتُ أسْتَخْدِمُهُ لأكْسِرَ بِهِ حَبّاتِ البُنْدُقِ!»

وَاسْتَغْرَقَ اللّوردات الكِبارُ مِنْ رِجالِ الدَّوْلَةِ وَالمَسْئولينَ في الضَّحِكِ.

الفَصْلُ الرّابعَ عَشَرَ
الخاتِمَةُ

وَتَمَّ تَتْويجُ إدْوارْد الحَقيقِيِّ مَلِكًا. وَكانَ مَلِكًا عَظيمًا حَكيمًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ عاشَ فَتْرَةً بَيْنَ شَعْبِهِ؛ فَاكْتَسَبَ خِبْرَةً بِحَياتِهِ، وَشُعورًا بِمُعاناتِهِ، وَبَصَرًا بِحاجاتِهِ. وَعاشَ توم في القَصْرِ، وَكانَ أَقْرَبَ أَصْدِقاءِ المَلِكِ إلى قَلْبِهِ.

وَاستَعادَ سير مايلْز بَيْتَهُ وَأَرْضَهُ، وَتَزَوَّجَ باللّيدي إديث، وَكَثيرًا ما كانَ المَلِكُ إدْوارْد يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ لِزِيارَتِهِ في هِنْدون هول، حَيْثُ كانَ يَرَى -كَذَلِكَ- بازِل، الَّذي أَسْدى إلَيْهِما ذاتَ يَوْمٍ أَجَلَّ مَعْروفٍ، وَقَدْ جَعَلَهُ مايلْز كَبيرًا لِعُمّالِ الحَدائِقِ.

أَمّا جون كانْتي فَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرٌ ثانِيَةً، وَلَكِنَّ توم كانَ حَفِيًّا بِأُمِّهِ وَشَقيقَتَيْهِ، وَفِيًّا لَهُما، فَمَنَحَهُنَّ بَيْتًا جَميلًا في الرّيفِ.

لَمْ يَعِشِ المَلِكُ إدْوارْد طَويلًا. وَلَمّا ماتَ، ذَهَبَ توم لِيَعيشَ مَعَ أمِّهِ وَأُخْتَيْهِ، وَيَكْتُبَ هَذِهِ القِصَّةَ، يَرْوي فيها كَيْفَ تَوَلّى توم، هَذا الغُلامُ الفَقيرُ، مُلْكَ إنْجِلْتِرا بِضْعَةَ أيّام.





الروايات المشهورة

١- جين إير
٢- فرانكنشتاين
٣- مونفليت
٤- دراكولا
٥- لورنا دون
٦- دكتور جيكل ومستر هايد



مكتبة لبنان

ساحة رياض الصلح - بيروت

رقم مرجع كمبيوتر 01 C1 198117